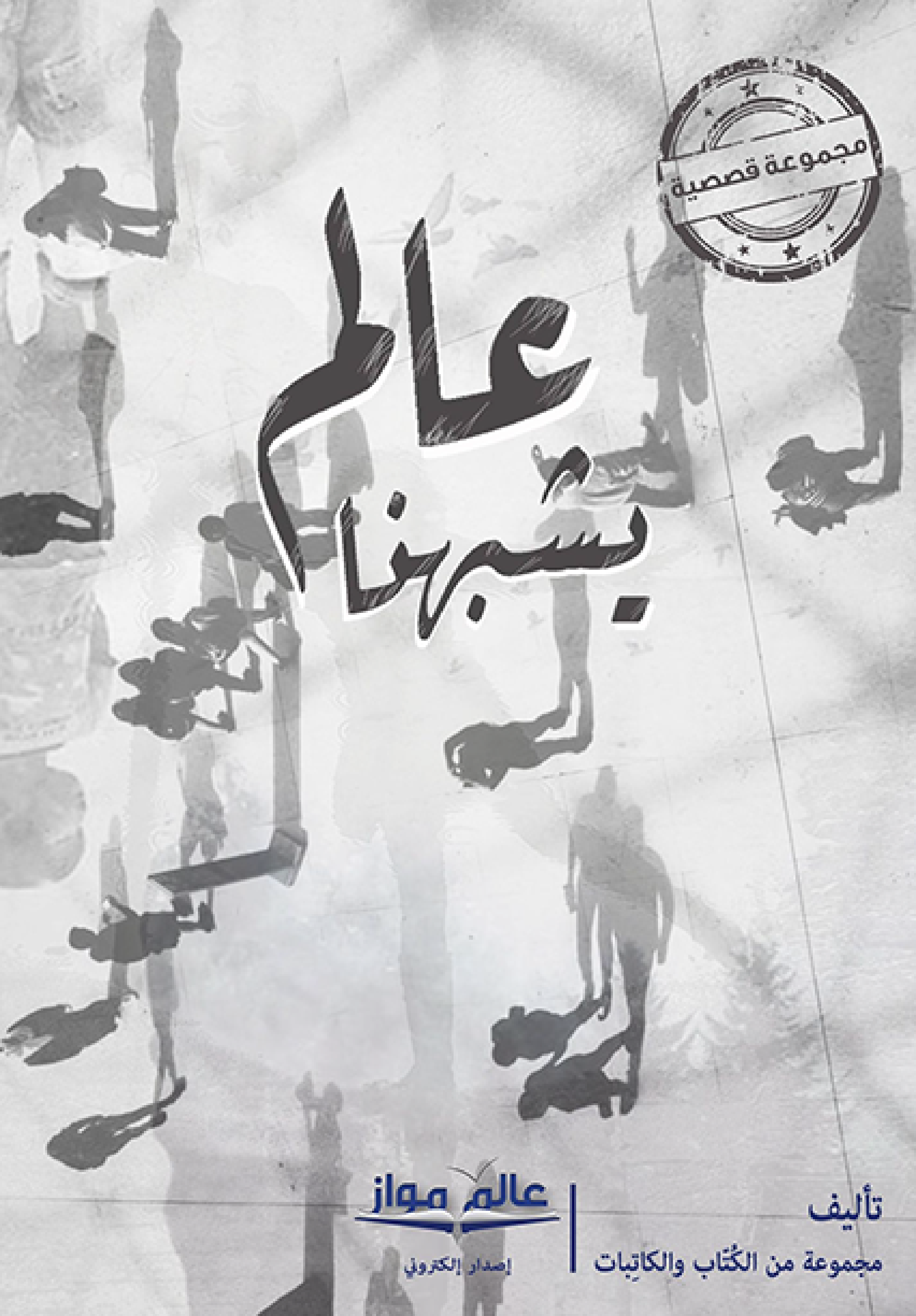

مجموعة قصصية
عالم يشبهنا
تأليف
مجموعة من الكُتّاب والكاتبات
عالم موازٍ
إصدار إلكتروني



عالم يشبهنا

مجموعة قصصية

تـألـيــــف: مجموعة من الكُتّاب والكاتبات

تـقـــديـــم: عبدالله البصيص

قراءة نقدية: موسى أبو ريـاش

عالم يشبهنا

مجموعة من الكُتّاب والكاتِبات

الناشر منصّة عالم موازٍ الإلكترونية

رقم التعريف الموحّد على موقع أمازون (رقم التسجيل)
ASIN: B08QZTVRYF

البريد الإلكتروني: admin@3alammowazy.com
الموقع الإلكتروني: https://www.3alammowazy.com
حساب تويتر: https://twitter.com/3alammowazy

تصميم الغلاف: محمد آدم
حساب فيسبوك **https://www.facebook.com/hell.fox.121/**

تدقيق لغوي:
الرقيب اللغوي على تويتر **https://twitter.com/linguistmonitor**

إهداء

إلى التي لولاها لظل "عالم موازٍ" روحًا بلا جسد.

إلى إيمان... أهديكِ هذا الكتاب!

أحمد فؤاد

المحتوى

مقدمة

عبدالله البصيص

مقدمة

عبدالله البصيص

عالمٌ موازٍ

يعتقد إفلاطون أن هذا العالم الذي نعيش فيه هو صورة لعالم آخر. في ذاك العالم الآخر تحدث حقيقة عالمنا، فنحن هنا مجرد انعكاس لنحن الذين هناك؛ كل ألم نعانيه، كل لذة نستمتع بها، هي حركة منعكسة داخل المرآة نقف أمامها. لا أعرف ماذا كان إفلاطون يتعقب في عقله حتى بلغ هذه الفكرة، لكنني أجزم أنه كان يحاول العثور على ثغرة بين عالم الواقع الذي يرى حدوث الأشياء فيه، وعالم الخيال الذي يخمن صورة حدوث الأشياء على الوجه الذي تحدث فيه في عالم الواقع.

عالم حقيقي وعالم مواز.

سأستعير منظور الفيلسوف الأكبر في محاولة لفهم كيف يعمل الأدب، وأقول إن العالم الذي نعيش فيه الآن هو نصٌّ غامض يقع تأويله في عالم الأدب

الذي يلتقي فيه الواقع والخيال حدوثًا داخل ذهن القارئ. فنحن هنا لفظ، ونحن هناك معنى.

عالم مواز وعالم (حقيقي/خيالي)

يخرجنا الأدب من المرآة التي نعيش فيها، لنواجه حقيقة ما يدور حولنا، فهو لا يكتفي بالإشارة إلى الجرح، بل يشعرنا بألمه، حتى نثور على السكين التي تسببت به، ولا يصف لنا الوردة لنعرف شكلها، بل لنعرف حالة من يراها، فنفهم الموقف ونتفهم الواقف، وهذا هو الأثر الأجمل لعملية التفاعل بين النص والمتلقي، وهو الأصل في قراءة الأدب وكتابته.

مدونة عالم مواز تنطلق من هذا الفهم، تعرض الأدب كما يلقي بظلاله على القارئ، وعن الأشياء التي يغير أماكنها في داخله. وهي مدونة جادة في تقديم كل ما يتعلق بالأدب والأفكار، وشؤون القراءة وأجهزتها وتقنياتها، سرعان ما جمعت حولها متابعين لديهم ثقة بما تقدمه من معلومات، وتحليل للنصوص، ودراسة تحيط بجوانب تهمّ القارئ.

إن أهم ما يميزها - من وجهة نظري - هي أنها تنطلق دائمًا من وجهة نظر قارئ يستعرض ما يظن أنه جميل في النص، ويطرح ما يرى أنه سبب في عرقلة ارتقاء المتعة أثناء قراءته، بعيدًا عن أدوات النقاد، ومناهج النقد ذات اللغة البلاستيكية النائية عن القارئ الذي ينشد تذوق المتعة؛ وهذا - النقد من وجهة نظر ناقد - أوجد فجوة بين النقد والقارئ، إنه يفترض أن القارئ تلميذ يبحث عن معلومة يواجه بها اختبار آخر السنة. لا يهمني أن تحلل مقادير طبق

حلوى وطريقة طهوه، أنا لست صاحب محل حلويات، أنا متذوق... صف لي الطعم، الطعم وشكله والعلاقة بينهما، وشعورك حين ذقته، فهذا هو ما يجعله طبق حلوى. كان هذا النوع من النقد يفرض نفسه على القراء مستعينا بسلطة الصحافة، مدعوما بذهنية معدّي الصفحات الثقافية في الصحف اليومية، والمجلات الدورية، وقد أصاب الأدب العربي بالفتور ردحا من الزمن، مالت فيه الكتب على بعضها فوق أرفف المكتبات بيأس، وما أن انفتح الفضاء مع انطلاق العالم الافتراضي (الإنترنت)، وتنفس الكتاب هواء جديدًا، حتى بدأ الأدب يستعيد تأثيره وانتشاره مدعوما بمدونات وتطبيقات تحمل ما وجده القارئ في طعم الحلوى.

القائم على هذه المدونة هو أحمد فؤاد، قاص ومدون مصري مقيم في الكويت، اختار أن يكون فيها قارئًا رغم معرفته النقدية التي تطل برأسها في بعض فقرات استعراضه للكتب التي فيها. أتخيله جالسًا إلى طاولة في غرفة مظلمة، عليها مصباح قراءة مسلط على كتاب، يتتبع حركة دوران تروسه الفاعلة، ويدون بدفتر جانبي - بين لحظة وأخرى - ما يكتشفه. قرأت أكثر من خمس مراجعات كتب ومقالين، وحوار مع مترجم، كلها تفصح عن اتساع وعي المدوّن وإدراكه لعالم الأدب، وطريقته في إحداث التغيير. وما أثار إعجابي حقيقة هو أنه – أحمد فؤاد – شاب يعمل في أحد الوظائف في الكويت، وبالرغم من ذلك استطاع وحده أن يبني هذا العالم الموازي بمجهود فريق كامل من كتاب ومبرمجين، لا أظن أن هناك دافعًا غير الحب الخالص للأدب، والإيمان بقدرة الكلمة على صناعة المستقبل.

وجاء تمام هذا الحب للأدب أن يهدي قراء مدونته، في سنويتها، مجموعة منتقاة، تضم نوفيلا ومجموعة قصص لأدباء يؤمنون بقدرة الأدب على تفسير واقعنا، وسبر مسيرة التاريخ لاستشراف الآتي، لكل منهم رؤية متفردة لوجود الإنسان في هذا العالم، عبّروا عنها بصوت يحمل نبرة تخص رؤية كل واحد منهم. وجدت صعوبة في الكتابة عن جماليات كل عمل منها، سيأخذ الأمر الكثير ودون أن أوفيها حقها، ورأيي كقارئ، أنها كقماش حريري يخفي خلفه جوهرة، يتعين على القارئ أن يمدّ في ذهنه يدًا ليحصل عليها.

ستصدر هذه المجوهرات في كتاب بي دي أف، كهدية للقراء، وسيتم تحميله على مكتبة كندل للكتب الإلكترونية بطريقة تلائم روح المدونة.

لا أعلم ماذا كان أحمد فؤاد يتعقب في عقله حين فكر بالبدء بهذه المدونة، لكنني أجزم أنه كان يحاول العثور على عالم مواز لعالمنا.

قصة..ها

أحمد القرملاوي

قصة..ها

أحمد القرملاوي

لم يكن ينقصني المزيد من الإرباك، حين حطَّت قِصَّتُها أمامي فوق طاولة غرفة الاجتماعات. شباك الغرفة مغلق، يصدُّ صخب الشارع قدر ما يستطيع، وإن استمرَّ زجاجُه ينبض باهتزازة تتكرَّر كل بضع دقائق، كأنما بفعل صدمة كهربيَّة. جهاز التكييف هائل الحجم يدفع الهواء البارد بثقة المهيمن على المكان. والطاولة ممتدَّة أمامي، لامعة وباردة، عليها كوب الماء البارد مُبتلّ السطح، وفنجان القهوة نصف المرشوف.. والأوراق المطبوعة؛ الكثير منها بدرجة تُثقِل القلب.

رشفتُ آخر حسوةٍ من فنجان القهوة، ونحَّيتُ جانبًا كومةَ الأوراق. وضَعتُ قِصَّتَها أمامي، تلك التي استلمتُها من مكتب السكرتارية عند وصولي.. قصة ممهورة بحرفين لا أكثر، استبعدَتْها لجنة الفرز لعدم استيفائها شروط التقديم، ما وجدتُه مكتوبًا بوضوح على الورقة المشبوكة في أعلى القصة: "البيانات غير مكتملة"، ما تأكّدتُ من صِحَّته بنفسي حين تصفَّحتُها ووجدتُ الحرفين الوحيدين في ختامها. فمن بين البيانات التي على المتقدِّم أن يستوفيها

لكي تُدرَج قصَّتُه في مرحلة التقييم: اسم المؤلف، ورقم هاتفه؛ المؤلفة، لو شئنا الدقة، فيُمكنني تمييز كتابة الفتيات من أول سطر.

كان من الممكن تفادي الموقف السخيف بجُملته، لو أنني تركتُ الإجراءات تأخذ مجراها الطبيعي؛ لجنة الفرز تستقبل القصص المتقدِّمة لورشة الكتابة، تستبعد ما لا يستوفي الشروط المعلَنة: عدد الكلمات، السن، السيرة الذاتية، أسبقية النشر، إلخ.. لكنني بالغتُ في الحرص على صحَّة الإجراءات، ربما بسبب قلقي الزائد عن الحد، فقد كانت أولى تجاربي في الإشراف على ورشةٍ للكتابة، وكنتُ حريصًا كل الحرص على إنجاحها، لذلك راجعتُ بنفسي أسباب استبعاد لجنة الفرز بعض القصص، من بينها هذه القصة الممهورة بحرفين. "وهذه؟"، سألتُ فتاة السكرتارية التي رصَّت أمامي كومة القصص المستبعدة، فقالت: "بياناتها ناقصة. اسم المؤلف غير مكتوب على النحو الصحيح، وأرقام الهاتف غير موجودة من الأساس، مع أن القصة تبدو جيدة".. وما أدراكِ أنتِ ما الجيد وما غير الجيد؟! هذا ما تردَّد بخاطري دون أن أُفصح به شفاهةً، لكنني شعرتُ باستفزاز منبعه سذاجة السكرتيرة وادعاؤها، ووجدتُ في نفسي ميلاً لقراءة القصة وإثبات عدم جدارتها بالاختيار، فطلبتُ نسخةً مطبوعة من السكرتيرة، مع فنجان القهوة المضبوطة، واتَّجهتُ رأسًا لغرفة الاجتماعات، حاملاً كومة القصص التي ستجعل مني أستاذًا لجيل صاعد من الأدباء؛ مكانة لا أثق كثيرًا في جدارتي بها.

طالعتُ الحرفين في نهاية القصة المستبعَدة؛ (ش. ر.)، فلم تومض في خاطري ذكرى خاصة. عدتُ من بداية القصة وشرعتُ في قراءة المتن؛ أسلوب ركيك؛ بناء هش؛ كآبة مُصطنعة؛ لغة حائرة لا تعرف أين تذهب بالكلمات؛ وإن كانت ثمة كثافة شعورية حاضرة بقوة، طاقة وجعٍ تُلامس أعصابي بطريقة مُبهَمة؛ أما المشاهد، فكأنما عايشتها من قبل؛ الغرفة التي تعبق برائحة التبغ والسجاد العطن، اللوحات متفاوتة الحجم فوق الجدران الداكنة، تلك التي تصنع مع الطلاء المقشَّر خريطةً خاصة للمكان، الشرفة المُطلَّة بزاوية حادة على الميدان الذي يضج بالحركة، التي لا ترى من التمثال إلا مؤخرته، أقراص منع الحمل وأعقاب السجائر، بقايا الواقي الذكري والمناديل الورقية المكرمَشة؛ تفاصيل بلا رابط واضح، لا ترسم صورة متماسكة إلا بداخل عقلي. قد تكون صالةَ شقتي في زمن غابر ما عُدتُ أذكره؛ كل الأزمنة صارَت غابرة، بما في ذلك يوم أمس؛ كل يوم ميلادٌ جديد، قنص جديد، غريزة بِكرٌ تغرس بذرتها عميقًا في أحشائي، وسرعان ما تنبثِق أوراقها على نحوٍ عشوائي، فتَضغط أسفل بطني وتقضُّ مضجعي. في أي ميلاد ظهرَت هذه الفتاة؟ من أي زمن جاءت تسعى لتلتقم عصايَ، لتُعرّيني.

قرأتُ القصة حتى النهاية، وصولاً للحرفين الممهورين أسفل الصفحة الأخيرة. تركض الفتاة في كل اتجاه، تقفز فوق الأرائك، تتعثَّر في الوسائد، تركل منفضة السجائر، يتبعثر الرماد، يُمسك البطل بذراعها، يفرك نفسه في لحمها، يتمدَّد قضيبه ويتصلَّب تمامًا، ينتزعه من جسده، يُمسك به كما عصاة التحطيب ذات الرأس السميك، يُثخن به جسد الفتاة، فتهرب عاريةً صوب

الشُرفة الصغيرة، تقفز منها فيستدير التمثال، يتلقَّفها، يغرزها مكانه في بؤرة الميدان، عارية مُهشَّمة، مهوَّشة الشَّعر، ويعبر الطريق صوب دكّانة الكتب؛ نهاية هزلية لقصة مفكَّكة، أفسدَت مزاجي فلم أعُد أرغب في قراءة المزيد.

عدتُ لفتاة السكرتارية، طلبتُ منها مراسلة مؤلف القصة، والحصول منه على البيانات الناقصة. "القصة أعجبتك؟"، سألَتني، كأنما تريد أن توقِع بي أولى هزائمي، "راسليه فحسب"، أجبتُ بصرامتي المعتادة، ومضيتُ ذاهبًا.

في اليوم التالي، ولدى دخولي المكتب في الصباح الباكر، قفزَت موظفة السكرتارية من خلف طاولة الاستقبال، كأنها كانت تنتظرني. لم يفتر حماسها بعد، برغم الجفاء الذي عاملتُها به في المرة السابقة. لم أعُد أشكُّ في سذاجة الفتاة وقصور تفكيرها، ولا في يقينها التام فيما تعتقده بخصوص القصَّة الهبلاء المفتعَلة.

"وصلَنا الرد"، قالت بحماسها المستفز، "المؤلف اسمه (شادي أحمد رفعت)، ولا يملك هاتفًا محمولاً، والرقم الذي يمكننا مهاتفته عليه رقمٌ أرضي، هاتف الصيدلية التي يعمل فيها بعض الوقت في توصيل الطلبات. الطريقة الأكثر ضمانًا أن نُراسله عبر الإيميل.."

أخذَت تُفضي بما لديها من تفاصيل، بنفس حرارة نهوضها لاستقبالي، فيما أردِّد الاسم وأتذوَّقه على لساني: شاري أحمد رفعت، شادي، رفعت، شادي.. اسم مستعار طبعًا؛ إنها فتاة، أقولها بيقينٍ تام، بل وفتاة ساذجة لا تفوق ذكاءً

موظفةَ السكرتارية هذه، لكن كيف أستطيع الوصول إليها؟ لن أغامر وأطلب رقم الصيدلية، فطلبٌ كهذا سيُعَدُّ اهتمامًا غير مبرَّر بطالب لا يستحق، ولن أستطيع الصبر حتى يحين موعد الورشة، فلن تُعقَد قبل شهر من الآن، كما أني لا أُفضِّل لقاء الفتاة وسط جمعٍ من المراقبين. لذلك اكتفيتُ بطلب نسخةٍ مطبوعة من الإيميل الوارد من شادي رفعت، وتعمَّدتُ ألا أُطالعه فيما أحمله معي لغرفة الاجتماعات.

في أعلى الإيميل ظهر بريد المرسل:shar.1988@gmail.com، من أي داهيةٍ جاءتني هذه الفتاة! تُرى، هل هي ذاتها حروف الاسم المشار إليه في الإيميل؟ أم إنها رسالة خفية، مُفادها: أنا الفتاة التي عاملتَها كساقطة.. أو الأسوأ منها: أنا من تحمل إليكَ الشرَّ حيثما تذهب.

انشغلتُ بهاجس الفتاة طوال اليوم، ولم يكن ثمة خيار آخر غير مُراسلتها على الإيميل. تحيَّنتُ فرصة خروج زوجتي في المساء، وشرعتُ في تسجيل إيميل جديد باسم مستعار؛ اسم فتاة، إحدى قارئاتي المهووسات بكتابتي. ثم فكَّرتُ مليًّا في أفضل صياغة أُراسل بها الفتاة، حتى اهتديتُ لأن أرسل رسالة مُفادها أني- المرسِلة- أقوم بتوزيع مكتبة أبي المتوفّى على هُواة اقتناء الكتب، وأن عددًا من أصدقائي مُحبّي القراءة قد رشَّحوا لي إيميلها. وانتظرتُ الردَّ طوال يومين، كنتُ لا أصبر خلالهما على انتظار إشعار الإيميل الوارد، فأفتح صندوق الوارد كل عشر دقائق، حتى وصلتني الرسالةُ مساء اليوم الثالث فيما أشدُّ أنفاس الشيشة في المقهى القريب. خفق قلبي لرؤيته، غير أنه لم يشفِ غليلي لمعرفة

المزيد عن الفتاة، فقد كانت رسالتُها تناهز رسالتي في المكر والحيطة، وكنتُ قد صِغتُ رسالتي بطريقةٍ لا تشي حتى بمعرفتي إن كان المرسَل إليه ذكرًا أو أنثى، على نحو: لقد تم ترشيح هذا الإيميل للحصول على كذا.. مبروك. أما هي، فكانت أكثر دهاءً، حيث ردَّت: "بعد التحية، هناك من هم أحوج مني لكُتبكم القيمة، خالص الشكر".. كلمات مقتضبة، حروف مراوغة، تغزل المعنى دون أن تُشير ولو من بعيدٍ لهوية المرسل. لكني لم أستسلم، فالصياغة حِرفتي، والكلمات جنودٌ مَطاويع رهن إشارةٍ مني. "هل بإمكانك التعاون معنا لنتوصل لمن هم أحوج منا بهذه الكتب؟ أرجو ترك وسيلة للاتصال".. إرسال. هكذا بدون تشكيل، بلا مفتاح يوضِّح ماهية المرسِل أو المرسَل إليه.

ثم انتظرتُ طويلاً.. مؤرَّقًا بالليل مهمومًا بالنهار، أخشى أن يرد الإيميل أثناء نومي فتُطالعه زوجتي، لذلك أمضي الساعات أعتصر ذاكرتي علّي أصل لذكرى باهتة، اسم بعيد، إهداء من حفل توقيع... حتى إن زوجتي لاحظَت تغيُّري. "فيمَ تسرح؟"، كانت تسأل، "ألم يتسنَّ لكَ قراءة منشوري الأخير على الفيسبوك؟"، كانت قد انصرفَت لكتابة المنشورات منذ سنوات؛ أقاصيص بلهاء، تجمع بها ضغطات الاستحسان وعددًا من التعليقات المفرِطة في ادعاء التأثُّر بكتاباتها. "نعم، جميل"، كنتُ أُجيبها، وكانت ذكية بما يكفي لكي لا تسألني المزيد، فلو أنها اختارَت أن تزنقني في خانة كَشْف الكذب، لكان غباءً محضًا منها، لن تجني من ورائه إلا المزيد من آرائي المحبِطة، التي طالما كانت تشكو من أنها تجعلها تيأس من تطوير ما تُسمّيه موهبتَها في الكتابة.

أمضيتُ بعض الوقت أُنقِّب في محادثاتي القديمة، في قصصي التي لم تكتمل، في أغانيَّ التي أحببتُها زمنًا، وكنتُ أكتبها في أجندةٍ يعلوها التراب، ثم نسيتُها مع الزمن، إذ ربما استدعَت أيٌّ منها وجهًا ما، موقفًا ما.. لكن بلا فائدة. كل الوجوه سواء. كل المواقف هباء. رغم ذلك تذكَّرتُ أمرًا هامًّا؛ حافظةَ ملفات لها كلمة سر، كنتُ أحفظها قبل سنوات في كارت ذاكرة وارَيتُه في مكان سريّ. تُرى أين خبَّأتُه؟ أجهدتُ عقلي لعدة أيام بحثًا عن الكارت، حتى إنني نسيتُ الفتاة والإيميلات، وصار الكارت هدفًا وحيدًا أسعى وراءه. وذات ليلة، وفيما كنتُ نائمًا بعد طول سُهاد، رأيتُ الكارت المفقود ملفوفًا بداخل منديل أبيض من الحرير، وإذا بي أنهض وقد تذكَّرتُ المخبأ، هكذا ببساطة.. كنتُ قد دفستُه في جيب داخليٍّ صغير في بدلة زفافي، حين خلعتُها ليلة دُخلتي، كأنما أدفن ماضيَّ بداخلها وأتجهّز لنقش تاريخ جديد فوق صفحة الفراش البيضاء. مرَّت مُذّاك سبع سنوات، نقشتُ خلالها تاريخًا مشابهًا لما احتفظ به الكارت، لكنني صرتُ أكثر حرصًا منذ تزوَّجت، فلم أدوِّن التاريخ الجديد في كارت آخر.

بحثتُ عن بطاقة قديمة في درج التسريحة، وجدتُ بطاقة ائتمان منتهية الصلاحية، ففرَّغتُ في وسَطها فجوةً في حجم كارت الذاكرة، ثم ضغطتُ الكارت بداخلها فصار والبطاقة سواء. أودعتُها بداخل محفظتي خلف رخصة القيادة، وانتظرتُ طلوع النهار. انطلقتُ نحو مطعم يُبكِر في فتح أبوابه، وهناك انتحيتُ جانبًا مع اللابتوب، وحرَّرتُ كارت الذاكرة من جوف بطاقة الائتمان، بهدوء وحذر. لوهلةٍ شككتُ في صلاحية الكارت، فقد تأخَّر اللابتوب طويلاً حتى انتبَه لولوجه، لكن سرعان ما انفتح شباكٌ على الشاشة

أمامي، وبداخله حافظة الملفات الصفراء. سارعتُ بنقرها نقرتَين، فانبجس منها شباك صغير يطلب إدخال كلمة السر.. هذه مُعضلة أخرى!

نظَّمتُ نفَسي وحاولتُ التفكير بهدوء.. ثمة ثلاثة احتمالات لكلمة السر، فإما أن أكون قد استخدمتُ كلمة سر الإيميل، أو كلمة سر تشغيل اللابتوب، أو الرقم السريّ لبطاقة الائتمان. استبعدتُ الاحتمال الأخير، لكون زوجتي تعرف الرقم السريّ، ورجَّحتُ أن تكون كلمة سر اللابتوب، أدخلتُها على الفور، لكن سرعان ما ظهرَ إشعار إدخال كلمةٍ خاطئة. تردَّدتُ قليلاً قبل أن أُدخِل كلمة سر الإيميل، فمحاولة فاشلة أخرى قد تذهب هباءً بما تكبَّدتُه طوال أسبوع بأكمله، سعياً وراء هذه اللحظة. لكنَّ القدَر أظهَر أخيرًا إحدى رحماته النادرة معي، فانفتحَت حافظتي السرية مع ثاني محاولة، وظهرَ بداخلها تاريخي المحفوظ في صفوفٍ من الحافظات الصغيرة الصفراء، كل منها مُعنوَنٌ بتاريخ حِفظه. اخترتُ إحداها خَبْطَ عَشواء، ونقرتُ عليها نقرتَين مضطربتَين، فإذا بسربٍ من الماضي يحلِّق بغتةً فوق هامتي.

كانت مرام بطلةَ أول حافظةٍ سرية أقوم بفتحها.. كنتُ مهووسًا بتصوير تلك الفتاة، ما يظهر جليًّا من عدد الصور وتنوُّعها الملفِت. لو أردتُ أن أضع مرادفًا لكلمة هوَس، لكان مرام. شَعرها المائج الفاتن، عيناها الساجيتان كأن النوم يُساورهما باستمرار. بشرتها القمحية الملساء كالدقيق. اسمها الشهيّ، حلو المذاق. كنتُ أصوِّرها بلا مناسَبة، بلا تحضير، وهي نائمة، وفيما تستيقظ، أو أثناء غسلها صحون العشاء صباح اليوم التالي، حتى أثناء صلاتها، كنتُ أجد

ما يدفعني لتصويرها.. تلك الخرقاء كانت تُصلّي في منزل عشيقها، ثم تقول إنها وجدَت أخيرًا معنى الراحة المطلقة؛ إذ ترتاح روحها وجسدها في ذات الوقت. كانت غريبةَ الأطوار، وقد أتوقَّع منها أي شيء، إلا كتابة القصص، بل إنها كانت تصدُّني عن التفكير في الكتابة، لو لاحظَت قبَسَها يلمع في عينيّ. لن تكون مرام فتاة الإيميل، هكذا حدَّثتُ نفسي فيما أخفِض شباك صورها أسفل الشاشة، وأنقر الحافظة التالية.

ظهرَت آيات؛ الفنانة التشكيلية الشابة، أو من تعتقد في نفسها ذلك. ملأَتْ ألوانها الزاعقة شاشة اللابتوب، كما شعرُها المهوَّش في الكادرات القريبة. كانت تُحِبُّ قصصي، تُلهِمها فورًا برسم الاسكتشات، وكانت تقول إن كتابة القصص أبدع كثيرًا من رسم اللوحات؛ ليتني كنتُ موهوبةً في القَصّ، كانت تقول، وكنتُ أجيب في ذهني فحسب: ليتكِ موهوبةٌ في الرسم أيضًا. وجدتُ بين الصور صورةً لي، عاري الصدر، مُلوَّن الجلد برسوم كثيفة وألوان فاقعة.. كيف استسلمتُ لها ببلاهةٍ هكذا! لا، لن تكون آيات.. فلن يبلغ الوهم بها لهذا الحد.

قلَّبتُ سريعًا في باقي الحافظات؛ لا يمكن أن تكون صاحبة القصة إحداهنّ، هكذا استنتجتُ في نهاية المطاف، وقد صرتُ أقرب ما أكون من الملل. قد تكون أختًا صغرى لإحداهنّ، أو صديقة تُشاركها أسرارها، أو قرينة تُشاركها ذات الجسد.. قد تكون أي شيء، لكنْ ليست إحداهنّ. أخفضتُ الشاشة بعصبيَّة، ما استرعى انتباه النادل السمج. طالعتُ الهاتف حتى ينصرف؛ ثمة إيميلات جديدة وردَت إليّ، ضغطتُ أيقونة الإيميل فإذا برسالة جديدة من shar.1988

تُتوِّج صفحة الوارد، تُرطِّب الأمل اليابس وتُشعل الرغبة الحارقة.. "يُسعدني أن أساعدكم.. لنتواصل عبر الإيميل".

لِمَ كل هذا الجفاء يا صاحبة المنَّة؟ ألا تتفضَّلين بإشارة ولو عابرة! شعرتُ بجذوة نار تُمسك برأسي، وبسهم بارد يضرب أعلى ظهري، لا أستطيع المضيّ هكذا بلا جدوى، سأقتحم الكهف المظلم وأنتشل وجهها المحفوف بالغموض. ارتجلتُ خطة مُتعجِّلة، واندفعتُ لتنفيذها بلا تروٍّ. بدأتُ رسالة جديدة: أخبرتُها بأني سأحضر ندوة الكاتب فلان الفلاني- اسمي- يوم السبت القادم، وأني أرغب في لقائها هناك للتنسيق بخصوص مكتبة أبي. لم تكن ثمة ندوة، وبضَغطة "إرسال"، صار حتميًّا إيجادُها. حاولتُ الاتصال بصديق لي، مدير مكتبة تستقبل الندوات وحفلات التوقيع. لم يُجِب. رغم ذلك سارعتُ بكتابة منشورٍ على الفيسبوك، أُعلن فيه موعد الندوة ومكانها، لكي تتأكَّد الفتاة من حقيقة الندوة حين تقرأ الإيميل.

كان جنونًا خالصًا مني، فلم أكن قد أخبرتُ صديقي مدير المكتبة، ولا كانت عادتي أن أُعلن ندواتي بهذه الطريقة. خمسة أيام فقط كانت تفصلني عن يوم الندوة الذي ارتجلتُه، هاتفني الصديق يستطلع الأمر؛ أبدى اندهاشه الشديد من تصرُّفي، لكنه تفهَّم الموقف حين شرحتُه له.. دار النشر العريقة التي تعاقدتُ معها مؤخرًا، "مالها؟"، اختارَتني لإدارة ورشة الكتابة، "نعم، سمِعت"، طلبوا مني أن أعقد عددًا من الندوات حول الكتابة وتقنياتها وتحدّياتها، كردٍّ استباقيّ على مَن سينتقِدون اختيارهم لي، "ومن سيُضيره اختياركَ؟!"، لم أسألهم

عن أسماء، استجبتُ فقط لطلبهم ووعدتُهم بأن أُعجِّل بالتنفيذ، لم أجد أمامي سواكَ كي أعتمد عليه، "مكانكَ طبعًا يا عزيزي في أي وقت".

هكذا أفلتُّ بالكاد من أول مُصادمة، لكن التالية كانت بانتظاري عند عتبة باب الشقة. اختارَت ألا توجِّه سؤالها صراحةً، ألا تُفصِح عن غضبها المضمَر، ظلت ترمقني فقط، بينما أعبر لداخل الشقة، ولم تتحرك من مكانها خلف طاولة السفرة بجوار الولد، فيما تُنهي معه الواجب المدرسي. "مساء الخير"، قُلت باقتضاب، فيما أستشعر نظرتَها التي تعلَّقَت بي، حتى وارَتني طرقة الشقة المفضِية لغرف النوم. جلستُ على حافَّة السرير أتدبَّر الأمر؛ ماذا تُراه قد حلَّ بها، هل بلغَها أمر الندوة؟ لا بد.. قرَّرتُ مباغتتَها. سحبتُ قميصًا من داخل الدولاب، وذهبتُ إليها: "أريد هذا القميص جاهزًا مساء السبت، لديَّ مناسبة"، بقليل اكتراثٍ قالت: "لِمَ لم تُخبرني مبكِّرًا؟"، قلتُ مُعتذرًا: "صرتُ نسّاءً، لم أتذكَّر إلا الآن".

أعددتُ قائمةً بالأسئلة ومحاور النقاش، ونسَّقتُ مع كاتبٍ صديق لكي يُدير الندوة. بالغتُ في الدعاية على غير المعتاد، فقد كنتُ حريصًا هذه المرة على كثافة الحضور؛ كنتُ أخشى أن تخلو المقاعد من حولها، أريدها أن تجلس في استرخاء، ألا تجد نفسها محط الأنظار والعدسات، أن تتوارى هادئة خلف الصفوف، وتُراقبني.

مع اقتراب اليوم، صرتُ أكثر توترًا، لا تفتر الهواجس عن العبث بي، لا أكاد أنام، تتمازج الوجوه في ذهني كلما أغمضْت، فيُفلِت النوم مني كأنه حشرةٌ

أُحاول اصطيادها. وقبل الموعد بساعة واحدة، وفيما أرشق زرَّين فضيَّين في سوارَي قميصي وأُمطِر نفسي بعطري الأثير، أخبرَتني زوجتي برغبتها في مرافقتي، سألتُها: "إلى أين؟"، فقالت: "إلى الندوة"، فوجدتُني أسألها باندهاش: "وما السبب؟"، قالت: "لكي أكون معك.. هذا كل شيء".

تأبَّطَت ذراعي وأخذَت تعبث في زرِّ السوار، فيما تقول: "لم نعُد نخرج معًا، منذ سنوات لم أحضر ندوةً عن الكتابة. أنسيتَ أني كنتُ أنشط منكَ في حضور الفعاليات؟"

"والولد؟"، قلتُ مُحاولاً مُداراة انفعالي، فحسمَت الأمر بقولها: "سهام جارتنا ستعتني به".

لم تكن ثمة وسيلةٌ لصَرفها، فاضطررتُ لاصطحابها معي. كاد الشرود أن يودي بنا فيما أقود السيارة إلى المكتبة، وهناك افترقنا أمام الباب، فقد كان صديقاي في استقبالي. تنحينا جانبًا نتصفَّح الكتب الواردة حديثًا إلى المكتبة، ثم مضينا نحو الباحة الخارجية المُعدَّة لاستقبال الندوة، ورُحنا نتبادل السجائر مع أخبار الكتّاب والناشرين المحبوسين على ذمة قضايا النشر. بدأ الحضور يتوافدون قليلاً بقليل، وكنتُ ألمح المدخل رغمًا عني كلما عبر الباب أحدهم، حتى اقترح صديقي مدير المكتبة أن نبدأ الندوة.

جلسنا ثلاثتنا خلف المنصة، وابتدر صديقي الحديث شاكرًا للجالسين حرصَهم على الحضور، رغم إعلان الندوة قبل الموعد بمدة وجيزة. أما أنا، فشعرتُ

بقلبي يثقل تمامًا بين أضلعي؛ ماذا فعلتَ بنفسك؟، ساءلتُ نفسي إذ وجدتُني لا أملك التوقُّف عن لَمحِ الباب كلما مرَّ شخصٌ جديد، لماذا صنعتَ من نفسكَ مُهرِّجًا، وابتذلتَ الكتابة لدرجة أفرغَت حياتكَ من أي معنى؟

وفيما أفيق من سَكرة جَلد الذات، إذا بزوجتي تعبر لداخل الباحة، وتتَّخِذ كرسيًّا خلف الحضور. رمقتُها، كأني أراها لأول وهلة، وانتبهتُ لما كانت ترتديه: بدلة حريرية ضيقة من قطعة واحدة، بلون الجلد، كأنها جسدٌ عارٍ بلا ملامح، شعرها قصير مصفَّف باعتناء، وحول رقبتها قلادةٌ سوداء ضيقة، كأنها مخنقة، ويداها مدفوستان تحت فخذَيها كمن اقترفَ ذنبًا. رأيتُني أتوقف إزاءها، أرمقها من عليائي، كما تمثال يتوسَّط الميدان، أزرعها في موضعي، وأعبر الطريق صوب دكان يبيع الكتب.

انتبهتُ حين انتقل إليّ الميكروفون؛ كنتُ سارحًا حين طُرِح السؤال، فقلتُ إني راغبٌ في سماع رأي الصديق الآخر أولاً، قبل أن أجيب، وعقدتُ العزم ألا أسرح ثانيةً حتى نهاية الندوة. طالما اخترتُ بمحض إرادتي دور البهلوان، يتوجَّب عليَّ القيام به بإخلاص. مضيتُ أُجيب الأسئلة بحماس وتحذلُق بالغَين، حتى تبدَّت في عيون الحاضرين نظراتُ الإعجاب، ومضى الوقت سريعًا فيما تبقّى من زمن الندوة، حتى شكر صديقي الحضور، فتقدَّم الكثيرون نحوي أمام المنصة، فيما وقفَت زوجتي تنتظر فراغي من تلقّي التهاني والتقاط الصور، تساءلتُ: هل تريد صورة هي الأخرى؟ وانتبهتُ لكوني لا أحتفظ بصورٍ لها في حافظةٍ صفراء على كارت الذاكرة، رغم أن علاقتنا تمتد بعيدًا لما قبل الزواج.

أعطَت هاتفها لأحد الموظّفين في المكتبة، لكي يلتقط عليه صورةً لنا. فاحتضنتُها، ورنوتُ نحو العدسة ببشاشة زائدة، ثم رحتُ أراقبها فيما تُطالع الهاتف وتمسح الصور التي لا تروقها. بعد قليل همستُ في أذنها: "مبروك.."، تطلَّعَت إليّ بتساؤل فأوضَحْت: "مبروك انضمامكِ للورشة"، وحتى لا نثير فضول المحيطين، تأبَّطتُ ذراعها ومضيتُ بها نحو الخارج مُعتذرًا من صديقيّ، وبينما أفتح لها باب السيارة قلتُ بابتهاج: "تلك اللعبة أعجبَتني كثيرًا.. ستُفيدكِ حتمًا في الكتابة".

لماذا ذهبوا إذًا؟

بلقيس الملحم

لماذا ذهبوا إذًا؟

بلقيس الملحم

كلانا وضع صينية القهوة جانبًا. متجاهلَين نظرة غاضبة من مدير قاعة الطعام في بهو Riverland Inn & Suites. في البداية تجاهلنا صوت زبون جديد يطلب المزيد من السكر. كنا نبحلق في الفتاة التي نزلت مؤخرًا في الفندق. وكانت تبدو وكأنها في الخامسة والعشرين. طويلة جدًا. خالية من اللحم ومن دون ثديين مغريين. عظامها بارزة وكأنها جوّعت في زنزانة. إلا أنها مواظبة على الأكل بذهن شارد. سألت جورج هامسًا: هل طلبتْ اليوم سمك السالمون؟ فأجابني بأنها اكتفت بزجاجة صودا وبعض قطع الشكولاتة.

لا يبدو جورج في حال جيدة منذ التقائي به قبل شهرين. كان ذلك بالصدفة. في بقالة طه لبيع المأكولات العربية. هو تبضع من الجبن والزيتون والمخللات. وأنا ابتعت قطع اللحم الحلال وبعض الحلويات. الصدفة قادتنا أن نعمل سويًا في ذات الفندق. وأن نشوي أسماك السالمون للسياح في حديقة رودريك الواقعة بين نهر آدامز وبحيرة شوسواب حيث يعبر السالمون النهر في رحلته الطويلة.

لكنني لا أعرف حتى الآن إن كانت تلك الفتاة النخلة كما يسميها جورج هي من أهمته وأخذت بتفكيره؟ فهي تشبه سماح. أخته الصغرى التي حدثني عنها قبل أيام. سماح غرقت في رحلة هروبهم إلى كندا قبالة شواطئ بودروم التركية.

بعد يوم طويل وشاق من إعداد السالمون المشوي للسياح. لاحظت مغادرة جورج منصة الحديقة. ابتعد عن صخب الموسيقى المصاحبة. مشى بصعوبة إلى شجرة الميبل. حيث كان يستفرغ ما في معدته الخاوية. لحظتها أدركت بأن رائحة مَّا أسرته وهيَّجت ذكرياته. ربما رائحة الرطوبة في المطبخ المعتم في بيت والده الكبير في بلدة رأس العين في حلب. أو ربما رائحة الثلج على جبل الشيخ الذي يسميه جورج بنافذة الطفل. أو رائحة الحزن في عيني أمه الكفيفة وهي تودعهم على شريط الحدود مع تركية. وقد تم قبول لجوئها مع ابنها الأكبر الذي التحقت به في ألمانيا أواخر 2013 أو لعلها عبق الحديقة التي امتزجت برائحة زيت السالمون الذي يرفض جورج أن يأكله لأنه على حد تعبيره قد التصق برائحة سماح أو ربما قضم من جثتها وسافر عبر المحيطات إلى هنا!

وماذا عني؟ لا أجد مكاناً لرأسي بين الرؤوس التي كانت تساق للذبح كالنعاج. جدي السابع المولود في مدينة باغو في ميانمار. هرب خفية من مذابح البوذيين التي بدأت في عهد الملك باينوانغ 1589م. فبعد أن استولى على باغو في 1559 حظر ممارسة الذبح الحلال للمسلمين. كما أجبرهم على تغيير دينهم بالقوة. غيَّر جدي اسمه من محمد إلى ساهو. فنجا، ونجا جدي الخامس من مذبحة الملك

بوداوبايا الذي أمر بالقبض على أشهر أربعة أئمة في ميانمار وقتلهم في العاصمة بعد رفضهم أكل لحم الخنزير. لقد فارق الحياة وهو يساق للذبح بسكتة قلبية.

مرت على البلاد سبعة أيام مظلمة بعد إعدام الأئمة مما أجبر الملك على الاعتذار حيث أصدر مرسوما باعتبارهم أولياء صالحين. جدي ساهو وصل إلى نجا بالي المنطقة الساحلية في ولاية راخين. ظنًا منه أن بإمكانه إخفاء هويته كصياد في تلك الشواطئ الغريبة عنه. وهناك قام البوذيون بحملة إبادة جماعية. بعد أن صرح رئيس ميانمار ثين سين بأنه يجب طرد مسلمي الروهنجيا من البلاد وإرسالهم إلى مخيمات اللاجئين التي تديرها الأمم المتحدة. فكر ساهو بالعودة لجدتي ليموت بجانبها. وما إن ركب الحافلة حتى اقتاده الجيش البورمي مع أحد عشر مسلمًا بدون سبب. أنزلوهم من الحافلات، وأحرقوهم أحياء في مجزرة قتل فيها أكثر من خمسين روهنجيًا. أُحرقت آلاف المنازل في باغو وكان من ضمنها منزل جدتي التي كانت تنظر في عيني محمد وهو يودعها. تمامًا مثلما ودعت أم جورج سماح وهي تغمض عينيها وسط أمواج بحر إيجه.

ربما انتابتني وعكة طارئة فانقلبت على ظهري. ورفعت عيني لسماء صافية. لا تلمع فيها سوى النجوم. ووجوه بعيدة شهباء حسبما رددت في نفسي أكثر من مرة. سنوات تمر وكلانا لا يعرف كيف لا تنطفئ روحه في حانة صغيرة على أطراف البلدة، وأديل تغني فيها: "We could have had it all"

لماذا ذهبوا إذًا؟

جاءت النوارس من أقصى البحر. ظننا أنها تشم السالمون من مسافة بعيدة. لتحلق فوق رؤوسنا فتلتقط سمكها ثم تطير عاليًا إلى السماء. لكنها أخذت قمامتنا وانصرفت. لماذا فعلت ذلك؟

جورج يندس تحت لحافه كل ليلة ويبكي.

بطبعه تطبعت. فقد أصبحنا قليلي الكلام وعيوننا في مكان آخر.

لماذا ذهبوا إذًا..!

نافذة جانبية مضاءة

ريم بدر الدين بزال

نافذة جانبية مضاءة

ريم بدر الدين بزال

السادسة صباحًا هو الموعد الذي أفتح فيه ستائر غرفتي، والحقيقة أنا أخشى أن أفتحها قبل أن ينتشر نور الصباح؛ لئلا اصطدم بخيال عابر، أو شبح سابح في الظلام يبتسم وراء الزجاج، أو ينقر على إفريز النافذة ليساهم في أرق الليلة القادمة.

أول ما أفعله هو أن ألقي النظرة الأولى على نافذتها. تقع شقتها في الدور الأسفل من موضع شقتي في البناء المقابل للبناء الذي أسكن فيه، يفصل بيننا شارع جانبي هادئ يندر أن تمر فيه السيارات، لا أرى فيه عادة إلا بعض ممن يسكنون الأبنية المجاورة، وقطيع من الكلاب السائبة يملأ فضاء الليل بعواء دراماتيكي يصلح لأفلام الرعب، أو الأفلام الكوميدية.

أنتظر يوميًا نور الصباح بفارغ الصبر لأرى ذلك الجزء من غرفتها وهو يسبح في نور الشمس. اكتشفت في الأيام الغائمة أنه ثمة مصباح جانبي ينير الغرفة بضوء ساطع، وعلى النافذة أرى طرف ستارة زهرية اللون لا بد أن يكون لها

جزء آخر لا يقع في مرمى نظري. ثمة كرسي من البامبو قرب النافذة عليه وسادة بيضاء مطرزة بورود زهرية اللون، وبالقرب منها يقف ضوء جانبي طويل يضع قبعة تشبه قبعة بستاني قصر مترف في العصور الارستقراطية، على الجدار فوق السرير علقت لوحة فيها بورتريه لشخص لم أتبين ملامحه.

في مثل هذا الوقت من الصباح تتمدد على سريرها بملاءاته البيضاء وهي ترتدي قميص نوم ملون، شعرها الطويل مسترسل على وسادتها في ترتيب بديع، ألقي عليها في سري تحية الصباح قبل أن أغادر إلى عملي.

فور أن أعود مساءًا إلى بيتي أتجه نحو النافذة لأطمئن عليها. يا لها من امرأة كسولة تحب النوم، في كل مرة أخطط للعودة إلى منزلي قبل أن تستسلم للنوم، لعلي أستطيع إرسال إشارة ما، فأحظى بدعوة إلى قهوتها، غير أني لم أفلح قط. لابد أن عملها مرهق، أو أنها تعاني من وحدة عميقة، أو صدمة نفسية، أو أي سبب آخر يدفعها للنوم الطويل.

غادرت المدينة في رحلة عمل استمرت أسابيع طويلة، ولكن طيفها كان رفيقي الدائم في رحلتي. والغريب في الأمر أنني لم أستطع تخيلها أمامي سوى امرأة تتسربل بالنوم. تخيلتها تقف أمامي وهي تفرك عينيها من أثر النعاس، لم أستطع تمييز لون عينيها، عزمت عندما أعود إلى بيتي أن أطرق بابها وأبدي إعجابي بها وليكن ما يكون.

أثناء الرحلة تجولت في أحد المتاجر، ثمة منظار مقرّب يستفزني أود أن أشتريه، غير أن الجانب الآخر مني يحذرني من مغبة هذا العمل غير الأخلاقي. في نهاية الأمر انتصر الشغف وعطّل ماكينتي الأخلاقية، حاجة ملحة لأراها عن كثب تجتاحني بعنف، وتبدد الأفكار والقيم التي أعتنقها.

الساعة السادسة صباحًا الأولى بعد عودتي فتحت ستائري كالمعتاد، وضعت منظاري على الطاولة الصغيرة بالقرب من آنية الزهور لئلا يظهر بالكامل، كنت أمارس تمويه الحقيقة أمام ضميري على الأقل.

وضعت عينًا على المنظار وأغلقت الأخرى بكفي، يا للجمال قميصها المزهر وحوافه المزينة بـ(الدانتيل)، لطالما ارتبط الدانتيل في ذهني بالأنوثة الفائقة. هل تظهر المرأة أنوثتها إن لم يكن هناك رجل تود أن يرى تفتحها؟ لست أدري كم أطلت النظر غير أني استحيت أن أركز العدسة على وجهها، بالقرب منها على (الكوميدينو) فنجان قهوة فارغ. امرأة ذواقة تتناول القهوة قبل أن تنام.

غادرت إلى عملي بعد المشاهدة الصباحية المقربة، وعاودت المشاهدة في المساء. اكتشفت بعدها أنني لم أعد أغلق ستارتي ولم يعد الخوف ضيفًا مقيماً في أفكاري. عزمت أن أزورها في اليوم التالي. كأني بها لا تغير قميص النوم أبدًا، وكأني بها لا تغير وضعيتها في النوم حتى أن فنجان قهوتها من نمط واحد. كانت هذه جملة ملاحظات سجلتها في ذاكرتي لأسالها عنها عندما أزورها. لكنني في الحقيقة كنت أعد نفسي بزيارتها في المساء وأجبن في النهار فأرجئ الزيارة إلى يومٍ آخر.

عند عودتي من العمل ذات مساء لمحت عمال شركة نقل الأثاث تقف أمام بناء فتاة الغرفة المضاءة. اقتربت بدافع الفضول لعلي أعرف رقم شقتها، استغرب العمال سؤالي وارتسمت على ملامحهم دهشة مشوبة بالرعب. قال أحدهم: هذا البناء فارغ منذ سنوات طويلة بعد أن عثر مالكه على جثة إحدى المستأجرات وقد توفيت منذ ثمانية أشهر على الأقل، كانت ممددة على سريرها ولم يتبق منها سوى هيكل عظمي داخل قميص نومها، وشعرها الأسود الطويل على الوسادة. منذ ذلك التاريخ فرغ البناء واعتقد الجميع أن لعنة ما حلت بالمكان.

لا يوجد أحد في البناء إذن؟ أقفلت ستائري بحرص شديد في الليل غير أني في الصباح وجدتها مفتوحة بالكامل، قمت نفسي مسلوب الإرادة لأتابع مهمتي اليومية. كانت هناك على سريرها في قميصها الموشى بالدانتيل، و فنجان قهوة فارغ على الكوميدينو. اقتربت بالمنظار نحو وجهها فغمزت لي!

وابل من الخيطان

لُبنى ياسين

وابل من الخيطان

لُبنى ياسين

كيف يمكنُ أن أعيش في هذا العالم وحدي؟ هذا السؤال بات يؤرقني بعد أن اكتشفت ما يحدث، وعندما حاولت تنبيه الناس، لم يصدقني أحد، اعتبروني مجنونة، وابتعدوا عني، لم يعد هناك من يرغب بالحديث معي، وهكذا صرت معزولة كداء معدٍ.

بدأ الأمر كلّه بحكةٍ غريبة تعتورني في رأسي، لم أعد أذكر كم من الوقت مرّ قبل أن يظهر مكانها ورم صغير، كما لو كانت كتلة دهنية أستطيع تحريكها قليلاً بأصابعي، أصبح الورم بعد قليل هاجساً لا أستطيع تجاهله، بل إنّ أصابعي تتجه إليه تلقائيًا، وتحكه إلى أن يُخدش، وتتبلل أصابعي بقطرات الدم الدافئ، عند هذا الحد، لم أعدْ أحتمل، فذهبت إلى الطبيب، قد يخطر في بالك أن تسأل: لماذا لم أذهب قبل ذلك؟ حسنًا... إنه أمر يتعلق بي، لدي رهاب المعطف الأبيض، أشعر أنني إن ذهبت إلى الطبيب، فإنني حتمًا سأمرض مرضًا شديدًا، ولدي قناعة تامة بأن الجسد لديه منظومة دفاع كافية لدرء أي مرض، وذهابك

إلى الطبيب، يعني أن ثمة عارضاً ما في جهازك المناعي يمنعه من أداء عمله كما يجب، وبالتالي، أنت تمنح جسدك - بذهابك إلى الطبيب- الإذن بالانهيار.

وهذا ما حدث فعلاً، إذ لم ير الطبيب ما يوجب الشكوى، بل لم يعثر للكتلة اللعينة على أثر، مما أفقد جسدي صوابه، وبدأت أورام أخرى تظهر على أطرافي، وتسبب لي حكة لا أستطيع إيقافها قبل أن أشعر بالسائل الأحمر اللزج على أصابعي، تشوه شكل أطرافي بفعل الندبات والخدوش التي تسببتُ بها لنفسي وأنا أفرك جلدي بجنون، بات الأمر مؤرقاً، خاصة وأن تلك النوبات أصبحت مزمنة إلى درجة لا يمكنني التوقف مهما حاولت.

حولني الطبيب العام إلى طبيب نفسي، وبدأ الآخر يقنعني أنني أعاني من اضطراب سلوكي/عقلي، وأن علي أن أجد سلوكاً آخر أدرب عليه أصابعي عند الإحساس بتلك النوبات، فأعطاني حجرًا لكي أحكه كلما شعرت برغبة في ذلك، مفسرًا أنه بالإمكان أن نغشّ عقولنا بتعويدها على إجراءٍ آخر بديل كردة فعل مخالفٍ لذلك الذي يطلبه منا، وأن الأمر يحتاج وقتاً للتدريب لن يتجاوز شهرًا أو شهرين على أبعد احتمال ، وعندما لم يفلح هذا التكنيك في علاجي بعد شهور من المعاناة مع الحجر الذي أبدله أول الأمر إلى كتلةٍ من المطاط، مفترضاً أن صلابة الحجر تعيق عقلي عن تصديق الخدعة، ثم إلى تمثال على شكل جسد إنسان، ليحاكي جسدي، بعد أن ظن أن شكل الكتلة هو سبب رفض عقلي لها، وصف لي أقراصاً جعلتني أهلوس، فتارة أرى أبي رحمه الله يحتسي معي كوباً من الشاي، وينبهني إلى تلك الأخطاء المطبعية التي اقترفتها في هذا النص، أو

ذاك، وتارة توقظني جدتي من النوم الذي لم أعد أعرفه لتحكي لي حكاية من حكاياتها الشيقة التي تنتهي دائمًا بـ: " مد إيدو بالطاءة طبست إيدو بالخرا، رفع راسو ليدعي ربو شخ الديك في عينو..."، وأضحك من قلبي على تلك النهايات التي تعيدني طفلة بجديلتين، وأسئلة لا تنتهي.

إلا أن تلك العقاقير لم توقف النوبات الملحة التي تعتريني، ولا أنهت أمر التورمات البادية على أطرافي، وقمة رأسي، ربما ألهتني قليلاً عنها، قليلاً بما يكفي للعبث بنهايات حكايات جدتي، وتصحيح الأخطاء المطبعية، أو ارتكاب أخطاء أكثر فداحة، فقط لأتمرد على كل ما يقال إنه صواب. فما الذي سيحدث إن سقطت الهمزة، أو هربت الشدة، أو حتى إن ضمت التاء المفتوحة ذراعيها احتفاء بالنص؟؟!!

غيرّ الطبيب النفسي العقاقير التي كنت أتعاطاها بوصفته -بعد أن نبش ذاكرتي جيدًا، وكنس طفولتي، ومسح عنها غبار النسيان- ووصف لي عقاقير أقوى منها، وهو يقول إنني أعاني من وسواس قهري، وإنّ تلك الأدوية هي أحدث ما توصلت إليه العلوم الطبية لمواجهة الوساوس القهرية المزمنة التي لا تستطيع العقاقير الأولى إنهاءها، وإنها ستساعدني أيضًا على النوم.

وأخيرًا نمت، لكن هذه المرة بدأت الكوابيس تهاجمني على نحوٍ لا يطاق، وأصبح بيتي نزلاً لغرباء يخرجون، ويدخلون، ويأكلون، ويتحدثون، ويقرؤون، ويعترضون على كمية السكر في الشاي، وبرودة القهوة، وكمية الملح في طعام، وكان أحدهم، وهو الأعرج من بينهم، يكرر كلماته بصوته الأجش، وبأسلوبٍ

مستفز، كأن يقول مثلاً: الشاي بارد... الشاي بارد...بارد الشاي، وهكذا إلى أن يفقدني صوابي.

عند هذا الحد أخبرت الطبيب بأنني لن أبتلع قرصًا آخر من هذا الدواء اللعين، فنصحني بالتقليل من تناوله تدريجيًا، لأن أعراض انسحابه ستكون أكثر إزعاجًا من أعراض تناوله.

وهكذا عدت إلى نقطة البداية، بأورام في أطرافي ورأسي، وحكة لا أستطيع إيقافها حتى أدمي نفسي، وفوقها طنين غريب في أذني لا يتوقف، طنين منخفض، لكنه متواصل، أرجعته إلى تلك الأقراص المهلوسة التي وصفها الطبيب لي، اعتزلت الناس، أقفلت باب بيتي، ولم أعد أخرج إلا للضرورة، متحرية ما أمكنني أن أرتدي قفازًا سميكًا يمنع أصابعي من خدش جلدي عندما تعتريني تلك النوبات.

إلا أن الحالة تطورت، وصارت النوبات أكثر ضراوة من ذي قبل، وخاصة في تلك الكتلة التي على رأسي، وهكذا استيقظت يومًا وقد قررت أن أنهي الأمر مهما كلفني ذلك، أحضرت مشرطًا كنت قد احتفظت به منذ أيام الدراسة الجامعية، وبعض القطن، واليود للتعقيم، وبدأت أحاول فقأ ذلك الورم في رأسي، ورغم أن ذلك أوجعني كما لم أتوجع من قبل، إلا أن شيئًا في داخلي كان يقول لي إنّ ما أفعله هو الصواب بعينه، ولإنّ الخلاص يأتي مؤلمًا أحيانًا ، كاويًا، لكنه أيضًا نهائي، وحاسم، وكما تقول جدتي في مثلها الشائع: " وجع يوم ولا كل يوم"، وهكذا بدأت أعصره بأصابعي بعد أن فقأته، أخرجت ما فيه، كاد الوجع

يفقدني عقلي، إلا أنني صممت على تنظيف تلك البؤرة جيدًا بما أنه لا أحد سواي يراها، استخدمت في آخر مرحلة إبرة - بعد أن عقمتها بالنار- لأتأكد من أنني أفرغت كل ذلك القيح الذي يملأ الكتلة، فسكن رأسي، وأصبح خفيفاً، هادئًا، وصمت ذلك الطنين.

ثم بدأت أنبش الكتل الأخرى في معصميّ، وقدميّ، فتحتها كلها، وأخرجت محتواها حتى آخر ذرة، خرج منها شيء كعقدة من خيوط ملتفة على بعضها، سحبته إلى الخارج حتى نهايته، وبقي أن أنهي المرحلة الأصعب، الوصول إلى بذرة تلك الخيوط لاقتلاعها، إذ يبدو أنها موصولة بطريقة أو بأخرى بالأعصاب، لكنني استطعت اجتثاثها كلها، رغم كل الألم الذي عانيت منه، وأخيرًا عندما انتهيت، توقف كل شيء دفعة واحدة، وسكن الضجيج داخلي، وداخلني هدوء رائع لم أشعر به من قبل، وأصبحت حركتي خفيفة كما لو أنني أطير، ولم يتبق إلا آلام الجروح التي تسببت بها لنفسي جراء ذلك العمل الجراحي الذي قمت به دون تخدير، ولا خبرة.

كان الأمر أشبه بقيادة دراجة صدئة، عليك أن تقوم بمجهود بالغ لتحركها، وأنت تستمع إلى صريرها المزعج يحفر رأسك، وهي تتحرك غصبًا، ثم فجأة تصبح دراجتك حديثة بمحرك ما أن تدوس بدالاتها حتى تحلق بك بدلاً من أن تتحرك.

جففت الجروح جيدًا، ووضعت عليها لواصق طبية معقمة، وغسلت وجهي، ويدي، واستلقيت تاركة الوقت لجسدي، وأعصابي لترتاح قليلاً، فسقطت في نوم عميق لم أستيقظ منه حتى اليوم التالي، نوم هانئ هادئ، بلا

كوابيس، ولا أصوات.. لا شيء أبدًا، بدا لي عندما استيقظت أنني كنت قد مت، ثم عدت إلى الحياة ثانية بطريقة أو بأخرى، عدت إليها خفيفة كالريشة، فبالرغم من أن تلك الكتل التي اجتثثتها لم تكن ذات وزن يذكر، إلا أنها كانت ثقيلة ثقلاً مرعبًا على روحي. ثقل لم يشعر به أحد سواي.

صبيحة اليوم التالي، وبعد أن غسلت وجهي، وجففته، وفيما أنا أنظر في المرآة، اكتشفت أن وجهي أضحى أكثر نضارة من أي يوم آخر، وأن عينيّ تلتمعان ببريق لم يسبق لي أن شاهدت مثله في عيون أي إنسان آخر.

ارتديت ثيابي، في نية مني للتوجه إلى الطبيب، لعله يصف لي ما يسرع التئام الجروح، ويمنعها من الالتهاب، وما انفتحت الباب، حتى رأيت الشارع بمنظرٍ لم أعهده من قبل، فقد كان البشر على مرمى نظري مربوطين بخيوط معلقة برؤوسهم، وأطرافهم لتحركهم، ولم أستطع- رغم محاولاتي- تمييز تلك الأورام الصغيرة التي تسببها عقد الخيوط تحت الجلد، رأيت كمًا مرعبًا منها يتدلى من الأعلى، وعندما رفعت رأسي لم أستطع رؤية ذلك الذي يمسك بها كلها، لكنني كنت أتحرك بحرية تحت وابل من الخيطان يغطي السماء تقريبًا. وحدي كنت أتحرك دون خيوط.

الكرة الزجاجية

عبد الخالق كلاليب

الكرة الزجاجية

عبد الخالق كلاليب

حدث ذلك منذ زمن طويل، سنوات طويلة جدًا. كنت في العاشرة من عمري. كنا في الصيف، لا مدارس ولا دراسة، حرية كاملة، نلعب طوال اليوم، كانت أيامًا جميلة. خرجت من البيت ومعي شطيرة الزيت والزعتر وأنا أسمع أمي تصرخ ورائي: "لا تتأخر على الغداء وكل سندويشتك، لا تعطها لكامل كالعادة". ضحكت وركضت خارجًا.

كامل صديقي المفضل، ابن جيراننا في البناء الذي نسكن فيه. لعبنا في الحارة مع أصدقائنا، مجموعة من الأطفال اللاهين المنتشين بسعادة بداية العطلة الصيفية. لعبنا الكرة أولاً في الحارة المسدودة، ثم ذهبنا إلى الساقية وسبحنا حتى تعبنا، ثم لعبنا الغمّيضة في البناء المهجور المطل على البساتين.

الضاحية كبيرة وبعيدة عن المدينة، وفيها أماكن كثيرة تصلح للعب والتسلية بالنسبة لأطفال لم يصلوا سن المراهقة بعد، ولا يهتمون بالذهاب إلى

السينما في المدينة كي يروا الفتيات هناك، كنا سعداء في الضاحية التي تكاد أن تكون قرية كبيرة.

عند الظهر جلسنا نستريح تحت ظلّ شجرة توت كبيرة في بداية البساتين، كنا ستة أولاد لا يتجاوز أكبرنا الثانية عشرة من العمر واسمه نديم، والذي كان، وليس بسبب العمر فقط بل لأنه كان يتمتع وبشكل فطري بشخصية قوية، زعيم مجموعتنا الصغيرة. جلسنا لفترة قصيرة صامتين، ثم فجأة قال نديم بلهجة الكبار التي فيها من قوة الإيحاء بالأمر أكثر مما فيها من لطف الاقتراح: "ما رأيكم أن نلعب لعبة القبضاي؟". سألناه كلنا معًا "كيف؟!".

كنت قد هجست على نحوٍ غامض بما سيقوله، فقد كنت أملك ذلك الحس الأرنبيّ الغامض الذي ينبئ بالخطر، مع أن ذلك الحس لم يفدني فيما بعد.

قال ببطء رزين محاولاً تقليد الكبار في كلامهم: "من البطل منكم الذي سيذهب ويشتري لنا السكاكر الملوّنة من عند الختيار؟".

ران صمت ثقيل ولم نعد نسمع سوى زقزقة بعض العصافير التي ما زالت نشيطة وقد انتصف النهار. همس كامل بخوف: "الختيار؟!". ثم أردف بصوت أعلى محاولاً إخفاء خوفه: "أنا لا أريد الاشتراك في هذه اللعبة". أطلق نديم ضحكة مصطنعة وعالية لا بد أنه قد التقطها من إحدى الشخصيات الشرّيرة في مسلسل تلفزيوني ما، ثم قال لكامل بصوت حاول أن يكون الازدراء فيه واضحًا: "دلّوع الماما!".

كانت هذه الصفة في عمرنا الصغير آنذاك سبّة كبيرة، ورغم ذلك فإن كامل لم يتأثر، بل ردّ على نديم بقوة وحسم: "دلّوع الماما، نعم كما تريد ولكن، لن أدخل دكان الختيار". الثلاثة الآخرون همهموا بما يشبه ذلك الرفض، فقد كان اقتراح نديم سيئًا، ومع ذلك فلم يتراجع، بل ضغط علينا أكثر. قال هازئًا: "ماذا؟ لم يبق بينكم قبضايات؟". تشجّع واصل وقال: "ولماذا لا تكون أنت ذلك القبضاي؟! اذهب أنت!". تلكأ نديم بالإجابة ريثما يجد الرد المناسب على ذلك التساؤل المفحم، تنحنح مثل مدخّن عتيق ثم قال: "أنا وعدت أبي وأمي ألا أذهب إلى هناك والرجل عندما يعِدْ.. يفي".

تطايرت الصيحات بأن الجميع قد وعد أهله بالوعد نفسه، ولكن نديم لم يتراجع، كان يعلم أنني الوحيد بينهم الذي لم يسبق له الدخول إلى ذلك المحل الصغير الذي يتحاشاه الجميع. نظر صوبي نظرة أفعى تملك الذكاء والشر معًا وقال: "أنت لم تدخل دكان الختيار من قبل، ألن تثبت لنا أنك رجل وتذهب فتشتري لنا بعض السكاكر؟ أم.. إنك أنت أيضًا دلّوع الماما؟!".

قال جملته الأخيرة وهو يغمز بعينه إلى كامل الذي لم يتأثر بسخريته وبقي صامتًا. أحسست أني قد وقعت في مصيدة، كنت فعليًا أصغر واحد بينهم، وأسعى دائمًا كي أثبت نفسي بينهم، أتت الفرصة ولكن المهمة عسيرة.

منذ حوالي السنتين قدم ذلك الرجل الذي أسميناه الختيار إلى الضاحية من مكان مجهول، كان طاعنًا في السن ووحيدًا وغريبًا عن الضاحية، ولا أحد يعلم عنه شيئًا، اشترى منزلًا صغيرًا له حديقة صغيرة في طرف الضاحية وابتنى في

الحديقة غرفة كبيرة متصلة بالمنزل، ولها مدخل على الشارع وافتتحها بقّالية، لم يكن أحد يعلم عمره الحقيقي، ولكنه كان شيخًا كبيرًا، ومع ذلك كانت صحته جيدة، وهمّته وافرة، وجسده الضئيل المنكمش يعمل ويخدمه على أتم وجه. كان صموتًا وكتومًا جدًا، وتعامله مع الناس يتّسم بالجفاء، ولم يره أحد يبتسم قط، لم يحبه أهل الضاحية، وكان زبائنه قليلين عادةً، وبدا أنه مكتف بذلك ولا يشكو على الإطلاق.

ثم لاحظت إحدى النساء شيئًا غريبًا، دخلت دكانه لتشتري أشياء تريدها، وكان معها ابنها الصغير الذي لا يتجاوز السابعة من عمره، وعندما كانت تحمل أشياءها وتهم بالمغادرة نظرت إلى صاحب البقالية فرأته يحدّق في ولدها الصغير، قالت إن نظرته كانت مخيفة وهي لم تجد كلمات تصفها فيها بدقة، أرعبتها النظرة فقط دون أن تفهم ما يدور خلف عيني الرجل من مشاعر. بدأ الكلام يزداد بعد ذلك وتتالت الشائعات المختلفة وتضخّمت دون أن يعلم أحد شيئًا ملموسًا على وجه الدقة. بات معظم الناس يتجنبون الدخول إلى تلك الدكان المعتمة دائمًا أيًا كان الوقت من النهار، واستمر الوضع هكذا والرجل لا يخالط أحدًا، ولا يشكو من قلة العمل، ولم يكن أحد يعلم كيف يتدبّر أموره بدخله القليل جدًا حتى كان اليوم الذي اختفى فيه سميح.

سميح كان ولدًا من جيلنا وجارنا في الحارة وصديقنا في ألعابنا دائمًا، أبوه كان رجلًا قاسيًا وعنيفًا مع زوجته وأولاده، وأمه امرأة طيبة جدًا لا يكاد يُسمع صوتها، وذات عصر اكتشفت أمه أن السكّر نفد من بيتها، ولكيلا يوبّخها زوجها

ويضربها عندما يستيقظ من قيلولته ولا يجد الشاي الثقيل المحلّى بشدة جاهزًا، أرسلت سميح إلى أقرب بقالية إلى البيت، وكانت بقالية الختيار ليأتي لها بقليل من السكّر تدبّر به أمورها، ذهب سميح ولم يعد.

قامت القيامة في الضاحية، فلم يسبق أن حدث أمر كهذا في ضاحيتنا الهادئة والمسالمة والآمنة، قام رجال الشرطة بكل ما يستطيعون القيام به، فعلوا كل شيء وفتشوا الأماكن كلها وخصوصًا منزل الختيار ودكانه ولكنهم لم يجدوا شيئًا يدل على مصير سميح، الرجل يؤكد أن سميح اشترى منه السكّر وخرج بسرعة ولا أحد رأى سميح في ذهابه ورجوعه، تبخّر سميح في الهواء. بعد فترة انتقلت عائلته من الضاحية وحاول الجميع تناسي ما حدث، ولكن في الحقيقة الأمر لم يُنسَ قط والجميع كانوا يتكلمون همسًا ويتساءلون ماذا حلّ بالفتى يا ترى؟

مرّ على اختفاء سميح سنة كاملة، وهأنذا أفكر أن ما اقترحه نديم خبيثٌ جدًا، ولكني تورطت بالأمر على ما يبدو. كنت الأصغر والأضعف بين أصدقائي، وأريد بشدة وعلى الدوام إثبات أني لا أقل عنهم بشيء. اقتراح نديم خبيث ولكنه يناسب ما أريد إثباته لهم دومًا وها قد أتت فرصتي.

ضغطت على أعصابي وأسناني كذلك وقلت لنديم: "سأذهب أنا!". ارتسمت على وجه نديم تلك الابتسامة المتعجرفة التي ترتسم على وجوه زعماء العصابات القساة في الأفلام السينمائية عندما يجدون أن أتباعهم الأغبياء مستعدون للتضحية بأنفسهم من أجلهم وقال: "جيد، سأعطيك النقود مني".

بعد دقائق كنت أخطو إلى داخل دكان الختيار، ورغم أننا كنا في منتصف النهار وفي عزّ الصيف إلا أن الدكان كانت معتمة، باب المدخل صغير ولا نوافذ في المكان الضيق، بضعة رفوف على الجدران وطاولة خشبية متطاولة يجلس وراءها الختيار على كرسي خشبي عتيق، وراءه باب ضيق أيضًا ومغلق، حسبت أنه يفضي إلى داخل المنزل.

تنشقّت الهواء البارد وشبه العفن وتنحنحت ثم قلت بصوت جهدت كي لا يبدو مرتجفًا: " أريد سكاكر ملوّنة". نهض الختيار وهو يقول بصوت منخفض: "تكرم عينك، اختر النوع الذي تريده". كان قصيرًا ونحيلاً، ضئيل الحجم حتى أنه لم يكن أطول مني إلا بقليل ولا يبدو أنه يستطيع أن يؤذي ذبابة. تشّجعت وأشرت بيدي إلى قطرميز كبير من السكاكر الملونة التي أفضّلها وقلت: "من هذا، أريد بهذه النقود كلها". ووضعت على الطاولة العتيقة ما أحمله في يدي من نقود معدنية أعطاني إياها نديم قبل دخولي.

تمتم بكلمات غير مفهومة وهو يمد يده إلى القطرميز ويرفع غطاءه المعدني ثم مد يده النحيفة المعروقة بداخله وأخذ قبضة من السكاكر ووضعها في كيس ورقي صغير، ولكنه قبل أن يناولني إياه نظر نحوي بحدّة، هكذا وجدت نظرته، وقال: "هل تحب الكرات الزجاجية التي يهطل الثلج بداخلها؟". قلت بصوت منخفض وخائف: "ماذا؟!".

استدار ببطء وأخذ من الرف الخشبي خلفه كرة ثلج زجاجية بحجم البرتقالة تقبع على قاعدة بلاستيكية صغيرة ملتصقة بها، كانت هناك وراءه

بضعة كرات منها، تناول الأقرب إليه، أمسكها من قاعدتها و وضعها أمام عيني لأراها جيدًا، كانت مملوءة بسائل شفاف كالماء، وفي قعرها حبات ناعمة جدًا؛ بدت لي وكأنها رمل أبيض مغروز فيه مجسّم صغير لبرج ذهبي، وحوله مجسّمات لبيوت متناهية في صغرها، وجميلة الصنع مع ذلك، هزّها في يده ثم وضعها على الطاولة أمامي، بدا وكأن الثلج يتساقط داخل الكرة على البرج والبيوت الصغيرة، كان منظرًا ساحرًا.

كان نديم يملك في منزله واحدة تشبهها جلبها له أبوه من المدينة، ورفض والدي شراء واحدة لي مثلها بحجة أنني ربما أكسرها وأؤذي نفسي وكنت أشتهي منذ زمن أن أمتلك واحدة منها.

سألني الختيار بلهجة مراوغة: "هل أحببتها؟". قلت بصوت مبحوح امتزج فيه الطمع مع خيبة الأمل: "أجل ولكن، لا أملك ثمنها". قال بوجه جاف وبصوت حسبته جافًا كذلك: "ليست غالية جدًا، اسمع، سأحتفظ لك بها وعندما يصبح معك نقود كافية تعال وخذها".

وجدت أنه قد تكلم بكلمات كثيرة حسب شهرته أنه لا ينطق إلا بالضروري فقط من الكلمات. هززت رأسي بموافقة صامتة ثم مددت يدي لآخذ كيس السكاكر وأسرع بالخروج. قال فجأةً: "عندي كرة أكبر من هذه بكثير وأجمل، هل تودّ رؤيتها؟". تجمّدت في مكاني، كنت أحس أنني قد أمضيت وقتًا أطول من اللازم في هذا المكان المخيف ذي السمعة السيئة، وأريد الخروج بسرعة والعودة إلى رفاقي منتصرًا ومعي الإثبات على أني الأشجع بينهم، ولكن

العرض كان ودّيًا وبسيطًا، كنت ما أزال مسحورًا بمنظر الثلج المتهاطل ببطء داخل الكرة الزجاجية الرائعة الجمال التي ما زالت على الطاولة أمامي، قلت بدون تفكير: "نعم". قال: "تعال معي".

استدار وفتح الباب الصغير خلفه ودلف إلى الداخل وهو يقول بصوت ما زال خافتًا ولكنه أكثر نعومةً الآن: "اتبعني". درت كالمسحور حول الطاولة العتيقة ودخلت وراءه، كانت غرفة صغيرة أضيق من الدكان بدت وكأنها مخزن صغير أو مستودع لوضع البضائع القلية التي يشتريها لدكانه، وثمّة طاولة خشبية صغيرة عتيقة ومهلهلة أكثر من طاولة البيع في الخارج عليها بضعة أشياء متناثرة وفي منتصفها كانت تلك الكرة الزجاجية الكبيرة التي ذكرها، وقف الختيار قرب الطاولة ودعاني بيده الضئيلة للاقتراب، اقتربت ببطء وحذر، ثمّة كرة كبيرة بحجم أكبر من كرة السلة تقبع على قاعدة بلاستيكية سوداء كبيرة، في قعرها رمل أصفر يكاد يصل إلى ثلثها مغروس فيه مجسّم لنخلة بدت كبيرة بالنسبة لحجم الكرة وتتناثر حولها مجسّمات لخيام متعددة، اقتربت أكثر مدققاً في الكرة الرائعة الجمال، حينئذٍ انتبهت إلى شيء صغير بجانب جذع الشجرة، بدا كقطعة من البلاستيك الداكن لا معنى لها أو حشرة صغيرة ميتة، ولكن.. لا، ليست ميتة، فقد تحركتْ ببطء!

اقتربت بوجهي من الكرة لأرى بشكل أفضل، سمعت همس الختيار: "هل تراه؟". دقّقت النظر، وفجأةً وبلمعة إشراق كبرقٍ خاطف أدركت ما كنت أحدّق فيه، طفل صغير من جيلي بحجم لا يكاد يتجاوز حجم نملة صغيرة بدأ

يتحرك وينهض بعد أن كان مستلقياً تحت الشجرة، وفي اللحظة التي أحسست فيها بشعر رأسي ينتصب من الخوف غبت عن الوعي.

حدث ذلك منذ زمن طويل، منذ عشرين سنة أو ثلاثين أو أربعين ربما، لا أعرف على وجه الدقة، صرت رجلاً الآن، وكذلك سميح، وهو الذي كان يتمطّى تحت شجرة النخيل البلاستيكية عندما رأيته هنا أول مرة، وأيضاً الأطفال والطفلات الذين جاؤوا فيما بعد، بتنا رجالاً ونساءً عديدين. نحن نعيش في تلك الكرة الزجاجية الكبيرة منذ ذلك اليوم البعيد.

فسفوري

بلقيس الملحم

فسفوري[1]

بلقيس الملحم

*إلى" سعيد الصالح[2]"**
نزولا عند رغبته في توثيق دمعتي، أهدي هذه القصة .

غالبًا ما كانت أمي تقتصد في ضوء الفانوس الذي كانت تعلقه وسط الخيمة البيضاء. غرفتنا الوحيدة التي نسكنها ونحلم فيها ونطير! يتدلى ضوؤها فيرسمنا تارة منبطحين على بطوننا المتضورة جوعًا، وتارة ونحن نكتب واجبات المعلمة فريدة. صاحبة النظارات السميكة.

هذا التوفير الذي تتحجج به أمي دائمًا، ألبسني لون السواد ووحشة الظلمة. كل شيء حولي كان أسود. لون المخيم لون "الدَّشاديش" التي يرتديها الرجال بكل تصانيفهم ووظائفهم، لون القدور، شرائط الصبايا وهي تطير أثناء عودتهنّ من المدرسة، أحذيتهن، حقائبهن، لوح المعلم أبو الكرش الكبير، حتى القمر لم

---

[1] هذه القصة مستوحاة من خبر ورد في العربية نت: طبيب مصري يقول: شاهدت جروحًا تشع نورًا في حرب غزة! 2006م.
[2] طلب مني هذا الشاب العربي بأن أكتب قصة تحاكي الخبر المنشور وقد أوفيت له طلبه.

يكن مضيئا بما فيه الكفاية، لقد سرقوه ورموه في بحر يافا الكبير.. أضع يدي على خدي لماذا لم يحتج البحر مثلاً؟!!

يجيبني صوت أمي وهي تنادي علي: محمود يمه تعال تعشا.. أبو علاء بعثوا لنا مسبَّحة وفلافل..

أنا مشغول بصيد أفكاري وعَلكها، أريدها أن تتخمر وتطيش. لكنها تقطع عليَّ عزلتي بتكرار ندائها. أجيبها والجوع يخرج أصواته من معدتي الصغيرة، أجرُّ دشداشتي الواسعة، تلك التي ورثتها من أخي الذي يكبرني بأربع سنوات. يعلق بها طين استقر في حُفَر الأسفلت إثر أمطار استمرت لأسبوع، فتعاتبني غاضبة:

-كم مرة حكيت لك تربط الحزام على خصرك يا ولد؟

–شو بعمل! طويل كتير ومفش فتحات.

كنت أريد أن أجيبها بأنها جمعته من مزبلة المخيم. لكنني أتحاشى النظر في عينيها مباشرة. كيف أقوى على جواب مثل هذا! لا تسألني عن نعليَّ التي قمت بشدهما بخيط جلدي أسود. ومن الأفضل أن أتباهى بها أمام لسعة الشمس الحارقة فقط، هي تباريني، وأنا أصفعها لأنها أيضا لم تحتج على تهجيرنا من يافا!!

يوم بعد يوم تزيد كآبتي وسوادي العظيم. ويكبر معه المخيم، بيتنا- خيمتنا- صار له عنوان. شارع ورقم مقسَّم. بيتنا اليوم صار أشبه بوزارة الإسكان

والأشغال العامة. والدي يدير الجلسات والاجتماعات على نحوٍ شبه يومي. هو صوت المخيم، ووسيط المشتكين للمنظمات الإغاثية. أسأل نفسي:

أهم جادون في سماع شكوانا؟ أم إنهم يشتكون مثلنا؟ هل هناك من يسرق المساعدات الدولية التي ترصدها مؤتمرات الأمم؟

أضرب حجرًا بيدي هروبًا باحثًا عن جواب، جوابٍ يشبه دمعة أمي اللامعة حين أحرقها زيت الفانوس. يومها دلقته فعاتبها أبي غاضبًا على فعلتها. جففت بقع الزيت ونامت ليلتها وهي تخفي صوتها خلف حاجز القماش الذي يفصلهما عني. صوتها الذي لم أكن أميزه إن كان ضحكًا أم بكاء!

خارج الخيمة كنت أخرج أنفاسي بصعوبة. لا يعجبني أن أنام مبكرًا كما ينام المخيم. فالأيام سيان بالنسبة لي. والروتين القاتل يؤرقني. كنت أبحث عن ضوء لافت مثلاً. أستطيع من خلاله إبصار ذاتي.

أحلم مثلا بأن يغزونا كوكب طائر فيشع مخيمنا أو ترمي علينا السماء بشهاب يسقط قريبا من دون أن ينفجر. يكتفي بشعاعه وبنوره الذي سيمحو الظلمة والكآبة. لابد وأن مخيمنا سيكون مركزًا للمدينة والقرى المجاورة. سيعج بالأسواق والمتبضّعين، سيكون مركزًا للاحتفالات ومحطات الإذاعة والتلفاز. أحلم وأمشي رافعًا بصري إلى السماء فأرتطم بحجر أبيض. رفعته إلى بصري دققت فيه. ظننته هبط من السماء. ظننت أن الله استجاب لدعائي. لكنه لم

يكن سوى حجر عابر. رميته فارتطم بحجر آخر أخرج شعاعًا أزرق اللون. لم أتحرك. تسمرت والدهشة تأخذني لأبعد مكان.

أخيرًا وجدت شيئًا أتسلى به يحثني على الاستمرار في الحياة والخروج من فانوس متقشف. فأمي تخشى نفاذ الكاز. أما شموع أبي فيحتفظ بها للكتابة وأموره الخاصة.

بدأت فعلاً في الهروب إلى النور. فمن خلال الحجرين اللذين أفرقعهما بيدي استطعت أن أرى كل شيء. آه.. كم هو جميل الليل بسواده وهدوءه. أبتعد عن المخيم فيبدو واضحًا أكثر. يتسلل إلي صوت الأمهات وهن يهدهدن أطفالهنَّ قبل المنام. صوت رامي وهو يضرب على طبلته. صوت تصفيق غير منتظم. صوت الأزواج وهم يلغون فيما بينهم. أو يحترقون.. أكتشف بأني ابتعدت قليلاً عن المخيم.

وجه فتاة سمراء يفاجئني جعلني أرتبك، فسقطت مني الشعلة. سألتني إن أصابني مكروه، فأجيبها في نفسي: وأي مكروه وأنا في حضرتك أيتها الملكة؟ لا أتردد فأمسك بيدها مزهوا برجولتي المبكرة. أدلها على خيمتها التي تاهت عنها مبصرًا في ضوء خافت لون عينيها الخضراوين، وبريق ابتسامتها الواعدة. أشعر وكأنني ولدت من جديد، معها مشيت ممسكا بيدها الطرية، لم نتحدث سوى عن يافا... يافا فقط. ولما ودَّعتني سألتها عن اسمها. فقالت: ضحى عياش. خيمة 144.

في اليوم التالي كنت مستعدًا للقائها، تظاهرت بالمرض، صحوت متأخرًا ولم أذهب إلى المدرسة، هي لم تذهب أيضا إلى المدرسة. لقد حملونا في شاحنات سوداء إلى مخيم آخر ولكنهم فرقونا، مخيم أرقى! يتكون من بيوت ضيقة ومتعَبة للغاية، لكنها مزودة بالماء ومضاءة بالكهرباء. لعنت الكهرباء يومها لأنها لن تضيء لي وجهها الجميل.

كبرت تحت ضوء القمر الذي كان يلهمني الكتابة إليها وإلى يافا، مضيت في الحياة أسلك شتى دروبها حتى لبست المعطف الأبيض.

في ليلة هي من أشد الليالي قصفا. كنت مناوبًا في مستشفى الشفاء بغزة. لم تكن أيامًا عادية، إنما كانت أشبه بأيام الله!

غفوات قليلة كانت هي نصيبنا من عناء اليوم المتواصل، لكننا سريعًا ما نعود إلى العمل المتواصل. جثث وقتلى وعويل. أما إسرائيل فكانت تقصف أمام إفلاس الحيل! الأطفال هم من كانوا يموتون سريعًا، بلا بنج كافٍ يُجرحون. بعضهم كان يأخذه الموت من أصابع الطبيب، وبعضهم الآخر يرسم لك خطوطًا حمراء تجبرك على الوقوف. العمليات تتوقف عامًا من الصمت لا دقيقة أمام قداسة الأرواح التي تنساب بين يديها كانسياب الماء من القارورة. الأمهات.! أين نفر من بكائهن؟ والعالم يتفرج يندد ويزن [ويَكِيلُ] بمكيالين.

في فسحة خارج الزمن هبطت عليّ كملاك منقذ، خرجتُ من بين ثلاثة شهداء مددوا ثم حملوا إلى ثلاجة المشفى، تركت لذويهم فرصة اللقاء الأخير،

لعلهم يناجونهم ويسامحونهم أكثر. ما أقسى الحياة! يشمون شهداءهم، يمسحون عليهم ويقولون عتابات غريبة لا أفهم بعضها، وبين نفسٍ ونفس.

قُطع التيار الكهربائي للمرة الثالثة على التوالي في يوم واحد، استمرت لساعات، فثارت ضجة كبيرة في المشفى وخارجه، السماء وحدها من ساندتنا. لقد فغرت فاهها وأضاءتنا بقنابل ذكية. لم أقف بليدًا حين سمعت اسمي ينادى عليه من المكبر اليدوي، أسرعت. قتلى جدد وجراحات عصيبة، بدون كهرباء، لا أعرف كيف أتممنا العمليات! ثمة معجزة لم يأت بها نبيٌّ أو وليٌّ صالح، بل أتى بها إلهٌ يدَّعي ملكيته للعالم الجديد.

الضوء عاد لغرفة العمليات بفضل أسلحتهم الفسفورية. جماجم مأكولة، جلود منسلخة، مخوخ مرضوضة، صدور مشرعة، لحوم مشويه، ملامح مشوهة، والعظام حجر كؤود بلون الفسفور غصت في نسيج جثة وقعت بين يدي. قلَّبتها.. تكاد يدي تحترق، بؤبؤ عينيها يتسع تشقها نار ملهبة، حديد بصرها يمتد إليّ وكأنه يعاتبني. لا أدري هل تأخرت عنها؟ ألمح في أصابعها المبتورة ذوبان أرقام هاتفها المحمول، لابد وأنها كانت تستنجد بأحد ما، شعرها محترق بلا لون كانت كبقع المخيم القديم. رائحة البارود تنبعث من ملابسها، لم تتفوه بكلمة، فقد أسلمت روحها قبيل ساعات. كيف تتفوه وهي بلسان قُطع نصفه، متفسخ لحمها، لامع ومشع. كل شيء فيها مشع.. لم يكن مختلفاً عن باقي الجثث السبع التي أحضروها من شارع السياحة. بيد أنها أمسكت بمعصمي وكأنها تريد القول: "دلني على قبري لتصلي عليه"

معصمي الذي أمسكتْ به قبل خمس وأربعين سنة وأنا أبحث عن خيمتها التي ضيعتْها ذات منفى. هو نفسه الذي غطى ضريحها بالورد. مثلما غطى وجهي بالدموع.

زرمقطوع

ريم بدر الدين بزال

زر مقطوع

ريم بدر الدين بزال

في غرفة الطوارئ؛ نعد أنفسنا لاستقبال أسوأ الحالات والحوادث ...منذ لحظة الغروب تبدأ الأعمال هنا بالتكاثر بمتوالية هندسية لا تشهدها ساعات النهار. تلك الظاهرة محيرة وغريبة، عندما يتفق الألم والوجع. وأغرب الحوادث وأكثرها فجيعة مع قدوم الليل، وكأن ما بينهما اتفاقية تمنح الليل للألم تخفيضات الانتقال إلى المرضى، أو كأن المرضى أنفسهم يشغلهم النهار ولا يفرغون لأوجاعهم إلا في المساء. الأكثر غرابة أن حالات الولادة المستعصية تكون معظمها في عمق الليل.

مرّت أمامي كوكبة من الممرضات المناوبات كن، يثرثرن كعادتهن ويتفقن على عشاء يلي اجتماع القهوة في غرفة المناوبة. النساء لا تتغير طباعهن في أي مكان، مدمنات على الثرثرة والأحاديث المكررة حتى وهُنّ منهمكات في إنقاذ الناس ومعالجة أمراضهم.

بالرغم من هذا استغرب كيف تستطيع إحداهن شرب قهوتها بتلذذ وإدارة مجلس نميمة، أو أن تستمتع بغزل الطبيب المناوب، ومن الغرفة المجاورة تصلها أنات المريض المتأرجح على الحافة الفاصلة بين الحياة والموت، وعمره يفرغ قطرة إثر قطرة مثل كيس المحلول المغذي؟ بل و أكثر من هذا كيف بإمكان أولئك الممرضات تناول طعام ممزوج برائحة الأدوية والمرض ومعجون بسواد الموت؟!

منذ دخولي إلى كلية الطب وأنا أجفل من رؤية الموتى أو المرضى المشرفين على الموت، ظننت أنني سأعتاد هذه الحالة فيما بعد عندما انخرط في العمل، وكان يقيني أن التطبيع ظاهرة تنسحب على كل مواقف الحياة، بدءًا من دخول قسري إلى كلية الطب، مرورا بزواج بروتوكولي، وانتهاءً باستخدام قسري لأجهزة الإنعاش، رغم اليقين الكامل أن هذا المريض لا يرجى شفاؤه.

بالرغم من هذا لم أستطع أن أصل إلى هذه المرحلة بعد مرور ثلاثين عامًا من العمل في غرفة الطوارئ ...ما زلت حتى الآن أجد غصة مريرة لدى إعلان ساعة وفاة المريض. يدهشني زملائي الذين ينهمكون في محاولات مستميتة لإنقاذ مريض ما، ثم في لحظة عندما يستقيم المؤشر معلنًا أن لا فائدة يسجلون ساعة الوفاة ويخرجون من الغرفة بانسيابية وكأن شيئًا لم يكن؛ ليدخلوا غرفة أخرى ويعالجوا مرضى آخرين، بينما أتوقف لدقائق لا يسمح لي عملي بغيرها، لأنظر إلى هذا الذي غادرته الحياة، فأخترعُ له شريط ذاكرة، وأستحضرُ في داخلي كلمة عزاء لذويه المنتظرين خارجًا.

يقول زملائي إن هذا ترف لا تسمح به أعمال غرف الطوارئ؛ لأننا دومًا على عجالة لننقذ مريضًا ما، وأن دقيقة واحدة قد تكون لها مفاعيل كبيرة. قد يكون كلامهم صحيحًا لكنني لا أستطيع أن أتعامل مع المريض أيًا كان على أنه مقطع تشريحي.

في الركن القصي من المدخل يجلس عامل التنظيف؛ يتناول ساندوتش الفلافل أمام عربته المليئة بمخلفات المرضى من أمبولات أدوية فارغة، و أكياس محاليل، وقطن وشاش مغطى بالدم والقيح. يتناول طعامه ما بين تنظيف غرفة وأخرى، ويطالع وجوه المرضى والجرحى والموتى على مدار الساعة. لا بد أن حُمّى التطبيع قد اجتاحته أيضًا.

أكثر ما يؤلمني أننا في غمرة انهماكنا بإنقاذ حياة إنسان ما لا نستطيع أن نرصد اللحظة الأخيرة؛ لأننا ببساطة مشغولون بتأخيرها.

دخلت نقالة الإسعاف على عجل، سيدة في الثمانين من عمرها على ما يبدو، ما يظهر عليها من أعراض يشير إلى أزمة قلبية، وقعت عيناي على معطفها، وأول ما لفت انتباهي أن زر معطفها الثاني من الأعلى مفقود. بحركة لا إرادية مددت يدي إلى جيب معطفها أبحث عن الزر. كانت أمي إذا سقط أحد أزرارها تخفيه في جيبها كي تقوم بتثبيته فيما بعد، لم أجد الزر في جيب تلك المرأة ولُمت نفسي لغبائي الشديد في تضييع الوقت في البحث عن زر، بينما كان من الأجدى إنعاشها.

بعد الصدمات الكهربائية بدأ المؤشر ينتظم وبدأ قلبها في الخفقان من جديد، شعرت برغبة شديدة في الجلوس بقرب سريرها أراقبها، فصرفت الممرضة التي انتدبت لهذا العمل وهي في غاية السرور.

كانت المرأة بيضاء الشعر بالكامل، ملابسها رثة ...تغضنات وجهها تشي بحياة متعبة. أطلّت إحدى الممرضات من الباب ودعتني إلى العشاء فاعتذرت لها فقالت:

تمر بنا هذه الحالات على مدار الساعة ألم تعتد عليها بعد؟

لا أظنني أستطيع.

فتحت المرأة عينيها الواهنتين في حدود ما أمكنها، وحرّكت رأسها المقيد بأنابيب جهاز التنفس ومُنظّم ضربات القلب. سألت بعينيها: أين أنا؟

حمداً لله على سلامتكِ.

لن أكون بخير. هذه المرة الثالثة. من فضلك لا تحاول إنعاشي في المرة القادمة. دعني أموت بهدوء.

أغمَضتْ عينيها ففكّرت كيف يمكن أن تتساوى الحياة والموت لدى إنسان؟ لا بد أنها ترى أن ما بعد الموت ليس أسوأ مما عانته قبله.

عند الفجر صحوتُ على صراخ مؤشرات جهاز تنظيم ضربات القلب. دَخلتْ الطبيبة المناوبة فيما أنا أحاول استرجاع ما مرّ بسرعة.

هذا احتشاء آخر يا دكتور؟ فلتنعشها.

لا... ليس هذه المرة.

تجاهلت ذهولها واستأنفتُ:

-لأول مرة ستتابعين مجريات اللحظة الأخيرة عن كثب ودون ضوضاء. تقلص بطيني. تقلص أذيني. توقف القلب تماماً. ساعة الوفاة الرابعة وخمس وعشرون دقيقة فجراً.

غادرتُ الغرفة بهدوء حسدت نفسي عليه. طلبت من الممرضة إبلاغ ذويها. أخبرتني أنها متسولة وُجِدَت في أحد الشوارع الكبيرة مُلقاة على الرصيف، ولا بطاقة هوية شخصية لديها. كل ما كان في حوزتها مَحرَمة مطرزة متسخة وبضعة نقود معدنية وزر خشبي بني.

قبيلة من أصوات صدئة

لُبنى ياسين

قبيلة من أصوات صدئة

لُبنى ياسين

"*اقتلها*"... خرج الصوت مدويّاً، صارمًا، أجشّاً، وكأنما وُلِد من حنجرةٍ مزروعةٍ بالسيوف والخناجر. "*اقتلها*"، هزَّ رأسه بقوةٍ لعله يتخلص من بقايا صدى الصوت الذي حفر أخاديد وجعٍ لا سبيل للتخلص منها. "***اقتلها.. لتتخلّص من العار، ستكبر، وسيجدون تهمةً يسوقونها بسببها إلى الزنزانة، وهناك ستنجبُ لك حفيداً من سجّانك، سيُسَلَّط السوط عليكَ من رحمها...اقتلها***".

خرج مسرعًا من البيت، جعل يذرع الأرصفة بؤسًا بخطواته المتعبةِ المحملة بأسى المدينة الغافيةِ على ألفِ جرحٍ وجرح، وفيما هو يحثّ خطاه دون اتجاهٍ محدّد، سمع صوتًا أرقّ نبرةً مما سبقه، فيه من العطفِ والشفقة ما يفوق احتمال كرامته المهددة بالطعن، حتى وإن لم يكن هناك مكان متبقٍ لطعنةٍ أخرى:

"***اقتلها، اقتلها وأرحها من هذه الحياة، ستشكرك لاحقاً عندما تلتقيك هناك، على الضفة الأخرى، اقتلها... وأرحها، وأرح نفسك من هذا العذاب***".

بسرعةٍ خاطفة غير اتجاهه، وأخذ يجري، لعله يستطيع خداع الأصوات التي تنطلق دون هوادة من رأسه، فتضيع في زحمة الأصوات الأخرى، وينجو بنفسه، يكاد يقسم أن تلك الأصوات قادته إلى حافة الجنون، إن لم يكن قد جن فعلاً، عبر الشارع إلى الرصيف الآخر حيث تبدو الشمس أكثر توهجاً، رَفعت طفلةٌ صغيرةٌ عينيها، ونَظرت مباشرة إلى عينيه، بل إلى أعماق روحه، وابتسمت، حَار في أمر تلك الابتسامة، ما الذي يدعو إلى الابتسام؟ يا لسذاجة الأطفال.

أكمل سيره باتجاه المنزل، كان عليه أن يرتاح قليلاً، أن يأكل شيئاً ما، أن يفعل شيئاً ما، رغم أنه لا يستطيعه! فتح باب البيت، اتجه إلى المطبخ، لا شيء يصلح للطعام إلا علبة الحليب، لن يستطيع أن يحرمها الحليب، فليس لديه ما يقدمه لها سواه.

شدَ بكفيه على معدته، وأخذ كأساً من الماء، شربه عن آخره، وألحقه بكأسٍ آخر، سيخدع معدته، سيملأها ماءً، ولتطحن تلك اللعينة اللحوح الماء كما تشاء حتى الغد.

استلقى على سريره، "اقتلها"، قالت امرأة ذات صوتٍ آسر: "***اقتلها، فغداً ستشعر بالعجز، وأنت تراها جائعة، ستجوع كثيراً، ثم ستأكل جسدها، وسيأكلك العار***".

أمسك بالمخدة، وأطبقها على وجهه، شدّها بقوّة كأنما هو يحاول أن يخمد أنفاسه، في داخله رغبةٌ مرعبةٌ بالصراخ، ورغبة أكبر منها بالموت، تخونه شجاعته كلما فكر بقتل نفسه، وتخونه نفسه عندما يفكر بقتلها، قاومه النعاس طويلاً قبل أن يغط في نوم مضطرب متقطع بكوابيس مرعبة.

استفاق صباحًا، كانت الجريدة ملقاةً على المنضدة كالعادة، رأى صورته في الجريدة، وخبرًا بالخط العريض الأسود يشير إلى أنه قتلها، خنقها بمخدةٍ حتى الموت، استبد به الرعب حتى أنه بدأ يرتجف، هل فعلها؟! هز رأسه محاولاً طرد تلك الفكرة من رأسه، لا... لم يفعل. متأكدٌ أنّه لم يقتلها رغم أنّه فكر في ذلك مرارًا، وربما كاد يفعل. هرول إلى غرفتها، كانت في سريرها نائمةً بِدعةٍ، لا تفكر بشيء، لكن ربما تحلم بأشياء كثيرة.

عاد إلى الجريدة، نعم هي صورته، هذا وجهه بكل تأكيد، لكنه لم يلبس مؤخرًا بزّة عسكرية، كان آخر عهده بها عندما أنهى خدمته الإلزامية، أنهاها بكفٍّ ثقيلٍ نزلَ على وجههِ من قائد الكتيبة التي خدم بها، والذي أخبره لاحقاً أنّ هذه الصفعة لتهنئته بطريقة خاصة على نهاية خدمته، حدث ذلك رغم أنّه كان يفعل كلّ ما يُؤمر به. كان جنديًا مطيعًا، لا... بل كان كلبًا مطيعًا؛ حتى أنّه عوى عندما طلب منه الضابط ذلك بعد أن أيقظه ليلاً ليسليه، وهو يحتسي الخمر، وتحتَ نوبةِ مزاجٍ ثمل، وسلطةٍ جائرة؛ جعله يعوي حتى الصباح، وهو يقهقه ويصرخ به: ***أعلى ...أعلى...***

الخبر في الجريدة كاذبٌ، الضابط لم يقتل ابنته، فقد تفقدها وكانت في سريرها نائمة، خرج الصوتُ الأجشّ من رأسه قائلاً: ***"اقتلها الآن أيها البائس الجبان، فلو تركتها تكبر سيغمد السجّان سيفه في جسدها، وسيقتلها، ويقتلك بطعنة واحدة. لِمَ عليك أن تتركها تتعرض لكل هذا التعذيب؟ أنت لن تستطيع حمايتها، لو كنت تستطيع لكنت حميت زوجتك***".

هرول خارج البيت، هاجمته قبيلةٌ من الأصوات الصدئة، كانت تصرخ في أذنيه: "اقتلها". ركض بأسرع ما يستطيع، لكن الأصوات لاحقته، وفجأة رأى زوجته تبتسم في وجهه، ووجهها ملوث بالدم، ثم قالت له بصوتٍ حانٍ: "***لم لا تترك أمر الصغيرة لي. مَن أولى مني برعايتها؟!***".

شعر بالخجل من زوجته، لم يستطع النظر في عينيها، وعاد منظرها، وهي تُساق بالقوة أمام عينيه بدعوى التحقيق معها، بعد أن مات أخوها في السجن. قتلته نظراتها؛ آخر ما رآه منها وهي على قيد الحياة. كانت تستغيثُ به، واستحالتْ بلاغة استغاثة عينيها إلى سهامٍ من نار اخترقت قلبه وجلده، أراد أن يفعل شيئًا، حاول أن يتحرك، لكن الضابط وجه فوّهة المسدس نحو رأسها، فتجمد في مكانه دون حراك، بينما كان صوتها يشقُّ أذنيه شقاً.

أيقظه بوق السيّارة -التي كادت تصطدم به - من عجاج أفكاره، ترنّح قليلاً، ثم استطاع أن يكمل سيره بينما كانت الشتائم تنهال عليه من سائقي السيارات التي عطلها مروره المفاجئ، ارتفعت الأصوات في رأسه ارتفاعًا جنونيًا، لكنه

أخيرًا عرف وجهة سيره، حددتها بوصلة الأصوات إياها، سارع خطاه نحوها بإصرارٍ لم يعرفه من قبل، وصل إلى مكانٍ ما، وجلس على الرصيف منتظرًا.

مرّ وقتٌ لم يحصه وهو ينتظر، حتى اقتربت سيارةٌ فارهة من بعيد، فقام بسرعة عن الرصيف، ودخل باب البناية الفاخر مترقباً وصولها. توقفت السيارة، ونزل منها ثلاثة رجال، وما إن لاح الرجل الذي كان يقود السيارة، وهو الذي كان يرتدي بزةً عسكريةً مُنشّاة ومكوية على نحوٍ استعراضي محكم، حتى عاجله بطعنةٍ في شريان رقبته، طعنةٍ قاتلة لا يمكن لأحد أن يغيثه منها.

ارتفعتْ أصواتٌ كثيرةٌ في المكان، وعمّت الفوضى في ثوانٍ، كان يلفظُ أنفاسَه الأخيرةَ جرّاء وابل الرصاص الذي اخترق جسده خارجًا من مسدس الحارس الشخصي. عندما نظر في عيني الضابط الذي كان يتخبط في دمه قائلاً: ***"سترافقني إلى الجحيم؛ دون مسدس، ولا رتبة"*** .

رسالة

عبد الخالق كلاليب

رسالة

عبد الخالق كلاليب

عزيزي السيد أ.أ.أ. المحترم:

تحية طيبة وبعد:

بدايةً أعرّفك على نفسي. أنا كاتب عربي أكتب منذ ما يربو على الثلاثين سنة، وأعمل مدرّسًا في أوقات الفراغ، وأعمل أيضًا صحفيًا طارئًا وبالقطعة حسب المتوفر، وذلك كله من أجل لقمة العيش طبعًا لي ولزوجتي ولأطفالي الخمسة. أعتذر عن اقتحامي عالمك الذي تهيّبت بداية اقتحامه صراحةً ولكن، اعذرني فلي أسبابي الموجبة التي دعتني لذلك.

بداية ثانية أقول لك فيها إنني من قرائك المعجبين بك جدًا، قرأت رواياتك المترجمة إلى لغتنا الجميلة كلها، وهكذا فقد قرأت روايتك الأخيرة والمعنونة (حفلة في المقبرة). وأحببت أن أخبرك بالآتي: روايتك يا سيدي (ملطوشة)، واعذرني على هذا التعبير العاميّ، بالكامل من روايتي التي كتبتها منذ أكثر من عشرين سنة، ولم أتمكن من نشرها حتى الآن، وعنوانها (عرس في الجبّانة)، ولا أدري كيف حصل هذا، ولكن هذا ما حصل. قد تسمّي ذلك توارد خواطر

وأفكار عالي التوتر، قد تدعوه تناصّ لا إرادي، قد تطلق عليه إحدى آليات التفكير الجمعي غير المفسّرة والمتعددة الأبعاد، وقد تقول ببساطة هذا كذب صريح وافتراء قبيح. (أدرك أنك لن تستمتع بالسجع بعد الترجمة إلى لغتك الجميلة أيضًا، ولكنني أحببت هذا السجع ولم أستطع مقاومته)، ولذلك دعني أقول مباشرةً الآتي:

أنا لا أكتب لك بهدف التشهير أو بهدف الابتزاز، معاذ الله، (مع إدراكي صعوبة ترجمة هذا التعبير، معاذ الله، على الترجمان المحلّف الذي سأعطيه هذه الرسالة كي يترجمها لأرسلها لحضرتكم، فأنا للأسف الشديد لا أتقن لغتكم التي أكرر إنها جميلة). حسنًا، لندخل في المهم: هدف الرسالة.

الحقيقة إنّ هدف الرسالة هو طلب المساعدة.

فأنا يا سيدي العزيز أطلب مساعدتك الكريمة بأن تساعدني لأنشر روايتي المنوّه عنها سابقًا، ولو بطبعة محدودة وضئيلة العدد جدًا، ومن ثم (وهذا هو المهم) عليك بأن تهاجمني وتشهّر بي على رؤوس الأشهاد وعلى مستوى العالم، وتصدّع رؤوس الناس بأنني سرقت منك ولطشت روايتك، وهكذا فأنا من الممكن أن أكسر، من الممكن وليس من المؤكد، دائرة الصمت القاتل التي تحيط بي وبالكتّاب العرب جميعهم.

سيدي العزيز: طلبي ليس مستحيلاً، ومن الممكن تنفيذه، وهو مجرد مساعدة بسيطة تقوم بها لأجل الكتابة والمواهب الدفينة، حسناً، لن أستعرض الآن قدراتي الأدبية واللغوية؛ لذلك أقول شكرًا لك سلفاً والسلام.

المخلص

أ.أ.أ.

ملحوظة:

في روايتك لا يموت البطل في النهاية، بينما في روايتي تموت شخصيات الرواية كلها في النهاية. أعتقد أن نهاية روايتي منطقية أكثر من نهاية روايتك، ففي النهاية كلنا إلى زوال.

شكر وسلام مرة ثانية.

***

ملحق (لم يكتبه كاتب الرسالة).

خبر عاجل: وفاة الكاتب الشهير أ.أ.أ. في بيته مساء أمس.

وكالات: توفي الكاتب العالمي الشهير أ.أ.أ. مساء البارحة في منزله الريفي الفاخر عن عمر يناهز الحادية والتسعين عامًا، كما أعلنت عائلته صباح اليوم. ورغم تقدّمه في العمر، إلا أن صحته الجيدة، ونشاطه الأدبي والاجتماعي الجمّ،

جعلا وفاته المفاجئة صادمةً للوسط الأدبي، ولعشاق أدبه الرفيع. وقد صرّح الطبيب الشرعي الذي فحص جثة الأديب الكبير بعد موته غير المتوقع أن سبب الوفاة هو توقف القلب بصورة مفاجئة؛ وذلك لسبب غريب، نوبة من الضحك المتواصل استمرت أكثر من ساعة! قالت زوجته إنها أصابته بعد أن قرأ رسالة غريبة من شخص مجهول تلقاها بالبريد العادي يوم أمس، وسبّبت توقف القلب بنوبة قلبية ضاحكة مفاجئة!

أحاديث جانبية للموتى

بلقيس الملحم

أحاديث جانبية للموتى

بلقيس الملحم

ولدتُّ في البصرة سنه 1958م، وسأموت في سنة 2009م. هكذا يبدو لي من تاريخ العائلة التي لم يعمَّر فيها أحد. وراحت تتناقص شيئًا فشيئًا بسبب العقم المتوارث بين أبنائها الذكور. حيث لم يتبق منها سوى أربعة بيوت. واحد منها فقط لم يغادر البصرة. ولم يفكر بالهجرة كما فعل أبناء مصطفى الحاج: "جودت" و"فؤاد" و"منصور". غير أنهم تركوا أختًا لهم تدعى "نزهت" الفتاة التي عاشت في مجمع أليتيا السكني الذي بناه الأسقف "حبيب روفائيل" رئيس جمعية الملائكة للخدمات الطبية. وكان قد أوقف جزءًا من ريعه لصالح خمس عوائل فقيرة جدًا. تسكن حاليًا في كنيسة مار توما التابعة لأبرشية البصرة المتروكة منذ زمن بلا إعمار.

أنا نزهت، أو التركوبصراوية كما يحلو لبعضهم تسميتي. الفتاة التي لفظت أنفاسها الأخيرة وهي تتوسد حجر السيدة "إنتصار" "ساكو"؛ واحدة من الراهبات التي لجأت مؤخرًا لكنيسة مار توما. حيث قررت الانضمام إلى الأسر

الفقيرة ودعمهم بالعمل معهم في المطبخ الخلفي للكنيسة الذي يفتح لزبائنه المارة ستة أيام في الأسبوع. بأصابعها الرقيقة أغمضت عيني في ليلة باردة، ثم أردفت بصوت خفيض صلاتها الخاصة :

"يا مريم بنعمك الكثيرة أعطي الموتى المؤمنين الحياة الحقيقيّة. واطلبي لأجلهم الرحمة وكوني لهم الدرب الذي يقودهم إلى الحياة الأبديّة. آمين" .

رددتُّ آمين لمرة واحدة ثم قادني شيء خفي للأبدية! "ساكو" تعهدت لي بأن توصل رسائلي إلى أصحابها، وبأنها ستعيد كتابتها بعد الحريق الهائل الذي اشتعل في مديرية البريد، فضاعت مع الرماد الذي غطى الضفة الجنوبية لنهر العشَّار، حيث تقع هناك. طوال الأربعين يومًا واصلت السيدة "إنتصار" زيارتي في مقبرة فتحت مؤخرًا على يد رجل من ذوي ضحايا المقابر الجماعية التي يعلن عن اكتشافها بين الحين والآخر.

السيد "مسلم عبد الأمير". تاجر زيوت السيارات فقد اثنين من أبنائه. عثر على أحدهما في مقبرة جماعية وجدت بالقرب من الجمارك جنوب الزبير. والآخر وجد اسمه ضمن إعلان إخباري، وكان السبب في مرضي الذي امتد لعشرة أيام لم تنخفض فيها حرارتي حتى وُريت التراب. وقد جاء فيه:

إلى جميع أبناء وبنات شعبنا العراقي، إلى أسر، زوجات، أبناء وأولياء أمور الأسرى والمفقودين من الحرب العراقية الإيرانية. نسترعي انتباهكم إلى القائمة

أدناه بأسماء رفاة الشهداء الجدد المعلومين كافة، ونرجو الاتصال ومراجعة مركز التسليم الرئيسي في البصرة _ قضاء الزبير. وللمزيد من المعلومات نرجو مراجعة مكاتب وزارة حقوق الانسان في المحافظة التي تعيشون فيها

1_جبار حسن وريج

2_سعيد سلمان علي

3_حسين رفعت

4_ج.م.ح. الياس شاكر رشيد

5_ع. حسين وحيد

6_نعثول جرذي

7_م.أول. عنوانه البصرة - حي الحسين- المربع- قرب مدرسة 1آذار

8_حسين معارج ربع

9_صومود نخا خاني

10_ثامر هيوت شري

11_صباح مسلم عبد الأمير

12_محسن لعيبي رحيم

والقائمة تطوووول...

في اليوم الأربعين وضعتْ على قبري شاهدًا كتب فيه بخط عريض :

"خفف الوطء فما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد "

ومنذ ذلك اليوم وأنا أنعم بالأبدية. فلا ترعبني القطط السوداء، ولا الكلاب السائبة. ولا رياح أيلول التي تحرك النخيل بقوة فيصدر صوتًا كانت أمي تخوفنا به. ولا ذلك الطفل الذي غاصت عجلات دراجته في ترابي بعد ليلة ماطرة. أظنه عبر المقبرة الصغيرة وهو يحمل طعام أمه وأخوته الذين يسكنون بجوارنا. أي طمأنينة أشعر بها وجارتي الضريرة تطربني كل ليلة بخشابة ربيع وأبي عتيكة، وخشابة أبي عوف؟ وهي تصدر من آلة تسجيل قديمة. لكنها صافية كصفاء موج الخليج. الخليج؟

آه.. هل كان يُوصل ما كنت أكتبه بالنيابة لعشاق صفحة التعارف عن صديقات لا يعرفن كيف يكتبن كلام الحب والهيام؟ أم أن السطور ظلت في طي الكتمان؟ لن يجيبني أحد. مادامت المقبرة هي النقطة الأخيرة والفراغ الفسيح اللامتناهي. ..

"ساكو" ستتجه من صباح السبت إلى محطة قطار البصرة في منطقة "المعقل" وستسافر إلى كربلاء، حيث يغادر عند الساعة الثامنة صباحا. تضيع

في شوارع كربلاء الضيقة، لكنها تصل أخيرًا لصاحبها المعني "منذر صاحب" وهو يتوسط أصدقاءه في مقهى الجيران بالقرب من العتبة الحسينية. تغطي وجهه غمامة من الدخان، ويقهقه ويرتج فيه كل شيء. يبدو أنه بدأ ينسى ويسلو بالحياة، أو أنه يسخر منها، لا أدري. ستسلمه الظرف البني وتغادر..

الغريب أنه لن يطلب منها التعريف باسمها. لقد صمت أمام جمالها ذي الملامح الآشورية، مع مسحة الملائكية التي كانت على محياها. نزلت إلى كربلاء بعباءة سوداء وغطاء رأس أزرق. لكنها شعت كالنيزك ثم اختفت. أما منذر فسيسكت فجأة وهو يقلب صور ورسائل ابنه "حمودي" الذي سافر إلى الهند بداية التسعينيات أثناء الحصار ولم يزر العراق خلال إقامته هناك. حتى جاءهم خبر وفاته منتحرًا قبل ثلاث سنوات. كان قد تعرف على أحد صديقاتي بالمراسلة في مجلة عربية وقعت في يده. وظل يراسلها وهي محتفظة بكل ما يرسله. هي ابنة إحدى الأسر التي لجأت إلى كنسية مار توما. حيث طلبت مني إرسال خزانة القلب كما كانت تسميها، وذلك بعد قرار الهجرة الذي جازفت به. لينتهي بها المطاف إلى أيدي عصابة غرقت بسببهم في بحر إيجه التركي .

مرّت الأيام حتى رأيته في المقبرة يبحث عني. رأيته جالسًا، منزويًا تحت نخلة هزيلة، مررت من أمامه، لم يرني، لم يكن يرى أحدًا. حتى "ساكو" التي كانت ترشني بالماء، وتحكي لي ما حدث معها. هل تحولنا إلى كائنات شفافة؟ لقد خرج من المقبرة أخيرًا وهو ينظر إليّ طويلاً دون أن يتكلم، ثم مضى..

مرّ على وفاتي ثلاثة أشهر. واستطاعت "ساكو" أن تفي بوعدها. سافرت خلالها إلى بغداد وإلى تكريت والسماوة. وتنقلت بين مناطق البراضعية والطويسة والتحسينية، واكتشفتْ أنني ربما كنت خبيرة في خدمات البريد التي كنت قد تعلمتها من أخي جودت ذي العيون الخضر الذي عمل في دائرة البريد لفترة وجيزة، وذلك قبل أن يهاجر إلى تركيا ويموت هناك دون أن تصلني منه رسالة واحدة! تقول لي بأن بعضهم احتضنها بقوة، أكرمها وأعطاها نذورًا توزعها على روحي، والبعض ابتلع دمعته لا باكيًا على ما مضى، ولا مؤمنًا بشيء سيأتي.

شخص واحد لم تصله الرسالة، حيث قررت "ساكو" عدم تسليمه قصدًا. بعد أن شاهدته يهيل التراب على حفرة قريبة مني. وهو منهمك في ذبح دموعه، مشت نحوه حتى وقفت أمامه وهي تشير إلى صدرها تتلو صلاتها اليسوعية. وتحت النخلة الوحيدة التي تتوسط المقبرة الصغيرة فتحت رسالتي إلى صباح عبد الأمير. الشاب مهلهل العظام المدفون على بُعد خمسة أذرع:

"ستكتفي بما سيتركه الهواء في صدرك المخروق، وستطول الحياة حتى نعود.. سنحدِّق فيما بيننا دون أن ننظر إلى شيء يُرى، ودون أن نكف عنه.!"

مفقود

ريم بدر الدين بزال

مفقود

ريم بدر الدين بزال

ما بين طرف الزقاق الذي يقع على ضفة ناظري والطرف الذي هناك اختفى، كأنما ابتلعه هذا الفراغ المفضي للجحيم.

منذ سنتين وأنا أكنس هذا الزقاق كل صباح، وأعيد الكَرّة كل مساءٍ جيئة وذهابًا بحثًا عنه، لكنني لا أجده.

ذلك اليوم الأخير، وقبل أن يعبر ذلك الفضاء الرهيب، كانت المكالمة الأخيرة التي تدفق فيها صوته: "***سأعود بعد ربع ساعة، جهّزي المائدة وأخبري سلمى أنني أحضرت لها قالباً كبيراً من الشوكولاته.***

لم أخبر سلمى، وبقيت على الشرفة ساعات طوال أنتظر خروجه من ذلك المكان.

قبل أن أتفحص المكان، اعتقدت أنه بحر متلاطم عميق، يحتاج عبوره وقتا، ولكن عندما عاينته بنفسي عرفت أنه مثل (الميل الأخضر) في فيلم توم هانكس؛

عبارة عن زقاق لا يتجاوز العشرين مترًا، هي تلك الفاصلة بين الموت والحياة، برزخ العبور ما بين الفقد والظهور.

جدران الزقاق مصمتة لا أبواب فيها، جدران خلفية لبيوت يمتلكها بشر من طوائف مختلفة. أيُعقل أنها لهذا السبب تدير ظهورها لبعضها البعض! حيطان مملوءة بشعارات تلعن الأشخاص والأشياء وأرواح الراحلين، هل أجد فيها بوابات سرية كما في الدهاليز الخفية للأهرامات؟ تحسست الحوائط لعلي أجد من أين انفتحت البوابات التي ابتلعته فلم يعد له مكان في هذا العالم؟

سلمى تسأل كل يوم عن شوكولاته يحضرها والدها، وأنا أيضا أنتظر أن يدخل من الباب حاملا كيسا كبيرًا من قطع الشوكولاته بعدد أيام الغياب التي قاربت ثمانمائة يوم.

أنهى نهار عمله الشاق وعَبَر نصف المدينة، وفي ذلك الزقاق تَبخّر.

قال لي الجيران إن في نهاية الشارع القريب توجد مقبرة جماعية لكل من فتكوا بهم. مقبرة مفتوحة للضوء والشمس والريح والكلاب.

حاولت أن أزور تلك المقبرة القريبة البعيدة، ولكنني لم أستطع إكمال الطريق، فقد هاجمتني كلاب كبيرة ورائحة نتنة. استولت على رأسي فكرة تقول لي: "كيف ستتعرفين عليه بين كل هذه الجثث المنتفخة العفنة المنزوعة العيون والمنهوشة من كل أطرافها؟"

طرقت أبواب العرافات وفي داخلي من يهزأ مني ويقول: أعرافات تسألين؟

نعم سأسأل العرّافة... لعل هناك قوى خفية كما يقولون، لعل الجِنّي يستطيع أن يخبرني.

وضعتْ العرافة كومة من الرمل على أرض الغرفة. نثرت فوقها شيئًا ما. حرّكتها بعصاها وهي تُتَمتِم وترتجف وتتعرّق.

قالت لي بصوت عميق كأنه آتٍ من مذياع قديم: "***موجود وغير موجود... يتألم، نعم إنه يتألم... يبكي بصمت. لا أستطيع أن أخبرك بشيء آخر".***

بكت العرافة ورفضت أن تتقاضى شيئًا من أتعابها. وعانقتني عندما أردت السير نحو الباب.

حاول الكثيرون أن يستثمروا انتظاري، وكانوا كثيرًا ما يطرقون الباب ليقولوا لدينا خبر عنه. أتلهّف لأعرف فيطلبون مبلغًا ضخمًا. بِعتُ كل ما أملك من قطع ذهبية وأرض صغيرة ورثتها عن والديّ، لكن اتضح لي أن هؤلاء يعتاشون على خداع المتألمين مثلي ممن فقدوا أحباءهم في ذلك الزقاق أو غيره.

عُدتُ إلى البيت ذات مرة بعد جولة بحثية مُضنية لتركض نحوي سلمى وهي تقول: ***بابا هنا.*** قفز قلبي من مكانه، لكنها أخرجت لي دمية قماشية صنعتها لها والدتي، رسمت على وجهها بالقهوة شاربًا، قالت لي:

قدَمي التحية له.

ابتسمتُ: ***سيأتي بابا قريباً ومعه شوكولاته.***

- لستُ طفلة لأنتظر الشوكولاته.. بابا أتى وانتهى الأمر.

كانت سلمى أكثر وعيًا وإدراكًا مِنّي. قررت ألا تمضي عمرها في الانتظار!

ما الاسم المناسب له؟ مخطوف؟ لا أعتقد أنها تنطبق عليه، فلم يتصل أحد بنا ليطلب فدية. لم أكن لأمانع في دفعها حتى لو أعادوه لي جثة هامدة. المهم أن يكون له مساحة في هذا العالم حتى لو كانت تحت التراب. لم يتصل أحد على كل حال.

(مفقود)؟ هذا ما يناسبه تمامًا. لا أعتقد أن هناك كلمة أكثر إيلامًا منها.

مفقود؛ تعني لا هواء له ولا ماء، ولا مساحة في هذا العالم. لم يعد جرمًا موجودًا على الأرض، وإنما محض أثير يعيش في ذاكرتي إلى الأبد.

وطنت نفسي على قبول الفقد، لكنني أتخيّله دائمًا يقول كما كان يقول بطل فيلم (الميل الأخضر): " أعبر الزقاق الأخير".

في الفيلم؛ عَبَر الممثل الميل الأخضر نحو كرسي كهربائي؛ مُعَدّ لإنهاء حياته، لكن زوجي لم يعبر الزقاق الأخير، بقي مُعَلقاً في مكان ما بين الموجود واللا موجود.

جَمعتُ ملابسه وهداياه، وأقمتُ لها محرقة صغيرة إلى أن أصبحت رماداً. ثم وضعته في قارورة زجاجية، بعد أن ربطت حول عنقها شريطًا بلون السماء؛ هذا اللون الذي يحب.

هنا مزار الموجود واللا موجود. عَبَر زقاقاً مجهولاً، لسبب مجهول، واختفى على نحوٍ مجهول.

رحلتي من ديترويت إلى ديروط

أشرف العشماوي

رحلتي من ديترويت إلى ديروط

"حكايات كاديلاك"

أشرف العشماوي

1

وُلدت في ديترويت منذ خمسين عامًا، سوداء، طويلة، عريضة نوعًا ما لكني رشيقة، أنا الجيل الثالث لعائلتي، الاحتفال بظهوري للنور كان مختلفًا عن كل الاحتفالات بطرازاتي السابقة، احتفوا بي كأنني النسخة الأولى لسيارات كاديلاك كلها، حاصرتني الأضواء من كل ناحية، الفلاشات المبهرة تضرب بشدة في جسمي اللامع القويّ، فتزيده بريقًا، العشرات يزيحون سقفي القماشي للوراء، ثم يغطوني مرة ثانية، ابتساماتهم تتسع كل مرة أكثر من سابقتها، صرت لعبة ممتعة بين أيديهم، كنت نجمة معرض ديترويت الدولي للسيارات هذا العام، وربما لأعوام قادمة، فلن يغيروا ملامحي الشرسة قبل خمس سنوات على الأقل.

بعضهم يسأل عن سعري، وآخرون يستفسرون عن قوتي ويقارنوني بغيري، وغيرهم يفتحون أبوابي، يدقون عليها، يتحسسون مقاعدي الأمامية ومقودي في نعومة، تثيرني أحيانًا وتدغدغ حواسي أحيانا أخرى، ألمح نظرة تقدير

وإعجاب في عيونهم، آهات ترتفع وهمهمات أسمعها بالكاد، لكنها ترضي غروري، ولِمَ لا، فأنا الأقوى والأفخم وإمكاناتي تفوق الجميع.

حدث هرج ومرج فجأة، تفرق الجمع المحيط بي على الجانبين، من بعيد ظهر رجال في ملابس داكنة ورابطات عنق من لوني ذاته، العيون تتابعهم في دهشة وترقُّب، مر مندوب الرئاسة ومعه ثلاثة آخرون، تفحصوا كل تفصيلة بي وعلامات الرضا تغزو ملامحهم، ثم قرروا شرائي وإيقاف عرضي بالصالة اعتبارًا من اليوم.

وجدتني واحدة ضمن عشرات أخريات من فصيلتي بجراج البيت الأبيض في واشنطن التي نقلت إليها على متن ناقلة سيارات ضخمة، لكني كنت فوقها بمفردي. في واشنطن اختلف الوضع، لم أكن مهمة على الإطلاق مع إنني الأحدث، لم أخرج في أي ركب للرئيس منذ وصولي، حتى خفت أن يعلوني الصدأ رغم العناية اليومية الفائقة التي أتلقاها، ظللت واقفة في ذات المكان لأسابيع، فخرج بعض الهواء من إطاراتي الأربعة، صرت أقرب للأرض، ربما كان ذلك تعبيرًا عن ضيقي بحالي، لكنهم لم يعيروني انتباهًا.

بعد شهرين عرفت سبب استبعادي، كان لابد من تصفيحي أولا قبل خروجي مع مثيلاتي بالمواكب الرسمية، حياة الرئيس وأمنه أهم بكثير من تحميل أوزان ثقيلة قد لا يتحملها موتوري، لكنهم فعلوها، صرت سمينة منتفخة ثقيلة الوزن، لاحظت في المرآة أنني أصبحت أكثر هيبة رغم فقدي الكثير من رشاقتي، وهو ما يهددني بنقص فرص انتقالي لآخرين بعد نهاية خدمتي بالبيت الأبيض،

لكني الآن أستطيع مقاومة الرصاص والصدمات، أنا مهيأة لاستقبال الرئيس كنيدي وزوجته.

في اليوم المحدد لخروجي أدركت قبلها بسويعات قليلة أنني سألقاه، الاهتمام بمظهري والتأكد من سلامة أجهزتي كان يجري على غير المعتاد، الجدية بادية على الوجوه، والقلق يبدو عليهم في كل اللحظات، تحركت بهدوء مع سائقي حتى اقتربت من الحديقة الأمامية، زادت سرعتي وأنا أصعد الممر وتوقفت أمام الباب مباشرة، طولي الفارع لم يمنع من ضبط وقفتي على السجادة الحمراء لتكون مضبوطة على بابي الخلفي الأيمن.

ها هما قادمان، كنيدي وجاكلين يسيران برشاقة نحوي، هيا اقترب أيها الوسيم، وأنت أيتها الجميلة الرقيقة، كل منهما اختار بابًا ليدخل منه عندي، شعرت بارتياح بمجرد جلوسهما، لمحت ابتسامتهما الرائقة، همس الرئيس لزوجته ببضع كلمات لابد وأنه يتغزل في قوتي وجمالي، شعرت بخجل، تبدد على الفور بمجرد أن ركب الحارس المتجهم بجوار السائق، وراح يتحدث في جهاز لاسلكي كبير بيده، تحركت في توتر مصاحب لنا، سرعان ما انتقل لوجه الرئيس بعد لحظات قليلة، أمامي أربع أو خمس سيارات ضخمة، وخلفي عشر على الأقل مثلها، لكن لا مثيل لي في الموكب كله.

بدأت أشعر بخيلاء وزهوٍ، خاصة حين أصر الرئيس على فتح سقفي القماشي كله بعد ربع ساعة فقط من سيرنا، الهواء يداعب شعر رأسه كلما زاد سائقي من سرعته، بينما جاكي – كما يناديها كنيدي – تحافظ على وضعية قبعتها

حتى لا تطير منها، يبتسمان لبعضهما، يلوحان لبعض المارة من بعيد، سرعتي تزيد عن المعتاد في أحد المنحنيات، شعرت بقلق خفي على الرئيس لما لاحظت أن المسافة بيننا وبين السيارات التي خلفنا تتسع، فجأة دوى صوت طلقات رصاص، رأيت رأس كنيدي ينفجر، وجاكلين تحاول القفز من السيارة من الخلف، بدا الأمر كابوسًا مخيفًا بالنسبة لي، سرعتي في تزايد، أميل يمينًا ويسارًا، إطاراتي تحتك بالأرض بقوة محدثة صفيرًا مفزعًا، يرقد كنيدي على الأريكة الخلفية بنصف جسده، قدماه مدلاتان، الدماء تنزف من رأسه بغزارة لتتشربها أريكتي، الحارس يشهر مسدسه والسائق مرتبك، يضغط على دواسة البنزين بعنف، وأنا أستجيب فزعة، أريد النجاة وأشعر بقلق على حياة الرئيس وأحلامه التي كان يحكي عنها قبل قليل لجاكي.

بعد مناورات كثيرة وسير على سرعات عالية، وصلنا لمستشفى القوات البحرية، حملوا كنيدي ساكنًا ينزف وأخرجوا جاكي مضطربة ترتعد، ابتعد بي سائقي فلم أستطع معرفة ما جرى بعدها، أودعوني في جراج بعيد لثلاثة شهور متصلة، محبوسة بسيارات قديمة أمامي وخلفي كأنني المذنبة، رغم أنني لم أكن راغبة في فتح سقفي يومها، لو أغلقه كنيدي لما مات، ولتلقيت أنا الرصاصات بدلًا منه.

تفحصني رجال كثيرون، أخذوا عينات من بقايا دماء الرئيس على أريكتي، ثم تركوني لتعلوني الأتربة ويفسد الهواء بمقصورتي لشهور أخرى، طالت حتى بلغت عامًا كاملًا بلا حركة، علمت أن كنيدي قتل بداخلي وليس بالمستشفى

الذي نقل إليه ميتًا، تشاءم مني خلـَفه ولم يركبني، ولا حتى في نزهة بالمنتجع الصيفي، مثلما شاهدت مثيلاتي وهم يخرجون بهن لمثل هذه النزهات الخلوية الجميلة التي تجدد شبابي وتحافظ على حيويتي، داهمتني الشيخوخة في مكاني حتى صرت أبدو أقدم كثيرًا مما أنا عليه، مع إن عمري لا يزيد عن أربع سنوات ونصف العام.

شعرت أنني أهتز بشدة فتنبهت، إنهم يغيرون إطاراتي، يزيلون الأتربة من فوقي، الوقود يسري دافئًا في خراطيمي، ها هو الماء البارد يملأ قربتي، سقفي يفتح ويغلق عدة مرات، تهللـَت كل قطعة في، سأعود للحياة، سأخرج للنور، للشمس، أسير على الطريق، أقطع المسافات، بينما أهم رجال في العالم يجلسون بداخلي، أسمعهم بوضوح، أراهم عن قرب، لا يستغنون عني، يفضفضون هنا بما لا يقولونه علنًا، يسترخون وبعضهم يذهب في غفوة قصيرة إن أراد، فأنا وثيرة للغاية، وأعلم ذلك جيدًا من صانعي وهكذا تقول أوراقي كلها.

الطريق هذه المرة يبدو مختلفًا، هذه ليست الطريق المؤدية للبيت الأبيض. قلت لنفسي لابد أن إجراء ما يستلزم اتباعه قبل عودتي للحياة بعد عام كامل من الانزواء، لكني وصلت إلى ساحة كبيرة كلها عربات قديمة، أقدم مني بكثير، أنا أبدو مختلفة وسطهم، يبدو أن سائقي ومرافقيه يعرفون قدري، فقد وضعوني بالمقدمة في مكان بارز، فتحوا سقفي وتركوني، لكنهم وقفوا على مقربة مني يدخنون. تبددت حيرتي لما رأيت لافتة أصابتني بالهلع، فأنا الآن معروضة للبيع في مزاد للسيارات الحكومية القديمة.

2

لا شيء يُصبّرني على ما جرى حتى لو كان المشتري هو أمير عربي شاب، ما قيمة أن أغادر بلادي، منشأي، موطني الأصلي، لأذهب إلى بلاد بعيدة لا أعرف عنها شيئًا، من سيقودني، كيف سيتعاملون معي، سأحتاج وقتًا لتعلم لغتهم العربية. سمعت أنهم دفعوا فيّ مبلغًا كبيرًا، أكبر مما أستحق كما قالوا، شعرت باستياء من كلماتهم، كيف عرفوا أنني لا أستحق، أنا متفردة لا توجد مني نسختان، كلهن غير مصفحات، أنا الوحيدة التي أقلت كنيدي في مشواره الأخير، ليس صحيحًا أنه استقل اللينكولن الفاخرة كما ذكرت بعض الصحف، هؤلاء لم يكونوا هناك، لم يروه وهو يدخل صالوني ويتأملني بإعجاب، كاذبة دائمًا تلك الصحف والمجلات.

هؤلاء المشترون دفعوا مالاً كثيرًا ليحصلوا عليّ من أجل أنني سيارة الرئيس كنيدي التي قتل فيها، أليس ذلك يرفع من قيمتي بالمزادات التي يجرونها، ويدفعون فيها عشرات الألوف من أجل اقتناء عربة لا توجد عند غيرهم؟ الآن وبعدما حصلوا عليّ وتملكوني قالوا إنني لا أساوي ما دفعوه.. يا للكذب الذي يتنفّسه بعض البشر.

كدت أبكي عندما تذكرت الرئيس الذي خلَف كنيدي وهو يفتح بابي ويلقي نظرة سريعة على الأريكة الخلفية، ثم يغلق الباب بعنف كأنني قبره المنتظر، ابتعد عني مسرعًا، أدار لي ظهره، اتسعت خطواته ليفرّ مني، حتى أنني نسيت اسمه، صرت من يومها ذكرى مشؤومة للإدارة الأمريكية كما يحلو لهم أن يطلقوا

على أنفسهم، فتخلصوا مني.. لكن هذا الأمير العربي لم يرَ فيَّ كل ذلك، دللني بلوحة أرقام مميزة مُحلاة بماء الذهب، جدد إطاراتي الأربعة بأخرى عريضة، أعاد طلاء جوانبي الخلفية ليزيل آثار طلقات الرصاص التي فشلت في اختراق جسمي، لكنها شوهتني قليلاً، جلود المقاعد أيضًا جددت بالكامل، واشتروا لي غطاءً جديدًا.

أشعر مع كل هذه الرفاهية والتدليل بأنني حبيسة صحراء شاسعة، مع أناس أفهم لغتهم بصعوبة، يقودونني بسرعة بالغة ولا يوقفهم أحد. يبدو أنه لا يوجد رجال بوليس في هذه المنطقة الصحراوية القاحلة، السائقون يستخدمون كل أجهزتي بعنف، كأنها المرة الأخيرة التي سأخرج فيها للسير، أطفال مدللون يركبون بداخلي، يعبثون بكل أزراري، خاصة الزجاج الكهربائي، ومفاتيح الراديو، لكنه لا يلتقط شيئا هنا، ليتهم يفهمون أنه لابد من وجود إذاعة لديهم بدلا من إلقاء اللوم علي!!

يتركون بقايا طعامهم بداخلي وأسفل مقاعدي، بصحبتهم مربيات وسيدات لا أرى وجوههن، يتشحنَ بالسواد، ظننت أول مرة أننا ذاهبون لمأتم، لكني مع الوقت عرفت أنه زيهم المعتاد!

الطقس هنا حار للغاية، وأجهزة تبريد الهواء عندي تلهث من فرط الاستخدام على مدار اليوم على أعلى درجة، أشعر بإجهاد من الدوران بالشوارع الخالية من المارة والمباني. تقتنيني أسرة ثرية، لكن المدينة تبدو فقيرة للغاية، ألمح من بعيد جِمالاً كثيرة تسير ببطء، يمتطي ظهورها رجال يرتدون ملابس بيضاء

واسعة، ويغطون رؤوسهم ووجوههم، أخاف أن أصدمها عندما نقترب منها، لكنها تظل على سيرها في خط مستقيم. بجواري سيارات صغيرة بيضاء وحمراء وخضراء من أنواع غريبة لا أعرفها، أنا أكبر واحدة هنا، لذا فالجميع ينظرون لي باحترام ويبتعدون عني.

بعد ستة شهور من الخدمة بالديوان الأميري عرفت أنّي مُخصصة لنزهات العائلة المالكة لهذه البقعة الصغيرة من العالم التي تعوم على آبار بترول، لكن فجأة تغير البروتوكول وقرروا خروجي في مهمة رسمية. مضيت أشق الطريق كالسهم خالية مع سائقي في نهاية الموكب الأميري حتى بلغنا المطار. هناك تبدل الحال وتقدمت الصفوف كلها حتى أوقفوني أسفل سلم الطائرة التي وصلت قبل قليل، لمحت الأمير يقف منتظرًا ضيفه المهم، بينما أحد رجال المراسم قد فتح بابي الخلفي، ووقف بجواره منتصبًا لا يتنفس.

كان الضيف المنتظر هو الرئيس المصري جمال عبد الناصر حسبما التقطت منهم اسمه، نزل سلم الطائرة بتؤدة بالغة، له نظرة ثاقبة وحضور لافت، استقلّني الأمير والرئيس واقفين أمام الأريكة الخلفية، يتكئان على مقبض حديدي تم تركيبه منذ يومين خصيصًا للزيارة. لاحظت حفاوة بالغة في استقبال الرئيس المصري، وود كبير في الحديث بينه وبين الأمير، ظلّا يلوحان للجماهير القليلة التي احتشدت على جانبي الطريق رافعة صور جمال عبد الناصر، بعضها وهو يرتدي زيًا عسكريًا، يبدو أنه محارب قديم متقاعد رغم صغر عمره.

اقتربنا من الديوان الأميري، وقتها ضرب الرئيس المصري بيده على مسند رأس السائق وهو يشيد بجمالي وقوتي، لدهشتي قال الأمير الصغير له بسهولة: هي لك هدية يا أخ جمال!

*****

وصلتُ لمدينة الإسكندرية قبل الفجر بقليل، لكنهم أنزلوني برافعة كبيرة بعد شروق الشمس، عشرات الرجال التفوا حولي، تحسسوا جسمي، جلسوا بداخلي وصفقوا الأبواب وراءهم بشدة، أخذني أحدهم في جولة على رصيف الميناء، تعامل معي بقسوة في مكان ضيق، زمجرت مكابحي كثيرا مُعربة عن ضيقي، لكنه لم يرتدع، وظل يضغط بدالة البنزين كمن يلهو في حلبة سباق صغيرة. سمعتهم يقولون إن الإجراءات سرية لأن السيارة تابعة للرئاسة لكن الكل كان يتابعنا!

بقيتُ بجراج الجمرك مع أخريات قادمات من أوروبا الشرقية، متشابهات حتى في اللون، الفقر والرخص يبدوان عليهن بشدة من الهيكل الخارجي، أما بالداخل فقد راعني عدم وجود أية كماليات أو وسائل رفاهية بهن. انزويت مبتعدة بعدما تركوا مكابحي غير مُحكمة، فانزلقتُ حتى نهاية الجراج بمقدمتي وارتكنت للحائط، أضيئت أنواري الخلفية، ورفع من صوت الراديو كي لا أسمع همهمات الحقد والحسد التي لابد وأنها تقال الآن من بقية السيارات.

استغرق بقائي بهذا الجراج الخانق أكثر من يومين، عشرات التوقيعات على أوراق معقدة كثيرة الألفاظ، متشابكة الخطوط الرديئة التي تقرأ بالكاد حتى أفرجوا عني، لكن اللهجة المصرية سهلة فكنت أفهم بسرعة ما يقولونه، تسلمني رجل نوبي أربعيني وقور هادئ، قادني ببطء واحترافية من يرغب بالاستمتاع قبل اندفاع المغامرة غير المحسوبة، وصلنا بعد ثلاث ساعات إلى مدينة القاهرة، دخلنا قصرًا كبيرًا عبر شوارع شديدة الزحام في منطقة شعبية، علمت بعدها أنه قصر لشخص اسمه عابدين، لابد وأن عابدين هذا شديد الثراء، فالجراج وما يحتويه من سيارات كبيرة يدل على سعة صاحبه.

مع إن المدينة تبدو فقيرة وشعبها مكدس في حافلات نقل عام حمراء ضخمة، تخرج رؤوسهم ومؤخراتهم من نوافذها وأبوابها، ويتكالبون عليها بمجرد تهدئتها قرب كل محطة مررنا عليها. حسنًا هذا أمر جيد، بدلاً من عملي بالرئاسة المصرية من الأفضل أن أكون مملوكة لشخص ثري مثل السيد عابدين ليقدر قيمتي بدلاً من العبث بي من عشرات الموظفين.

شعرتُ بغربة أكثر مما كنت عليه بالخليج وأصابني الاكتئاب، هناك كنت مميزة بلوني الأسود في ديترويت ثم بواشنطن، لكن هنا عشرات السيارات التي تحمل اللون ذاته كأنه لون شعبيّ، أصبحت لا أسير على ما يرام، فالوقود الذي يمدوني به ذو رائحة نفّاذة لا يناسب قدراتي، صرت أحدث أصواتًا كلما تدرّجت سرعتي، كأنني مصابة بانتفاخ والغازات تخرج رغمًا عني. لم تكن الزيوت أفضل حالاً، لونها داكن وخفيفة، مع أنهم لا يصرفون لي شيئا على نفقتهم، فقد علمت

بعد يوم واحد فقط أنهم موظفون بديوان الرئاسة مهمتهم العناية بي، وأنني مخصصة للرئيس جمال عبد الناصر شخصيًا، وهذا القصر البديع لا يوجد به سوى (سُفرجي) عجوز اسمه محمد عابدين، لم أره سوى مرة واحدة وهو يقدم كوب شاي لسائقي، ولم أفهم لماذا أطلقوا اسمه دون غيره على المكان كله!

لم يطلب الرئيس استخدامي إلا بعد وصولي بأكثر من شهرين ولا أعرف سبب عزوفه عني، كنت متشوقة للغاية لجولة رئاسية بشوارع القاهرة بعدما تبين لي الأمر من حكايات باقي العربات هنا بالجراج، فوجئت بأن الشوارع تخلو من السيارات والمارة وقت مرورنا كأنهم يخفونهم في البيوت، حتى الطرق التي نسير عليها تصير ممهدة، لا أحد يعترض طريقنا، لا إبطاء فجأة أو زيادة غير محسوبة للوصول في الموعد، فكل شيء محسوب ومحسوم مقدمًا.

أولى نزهاتي كانت إلى مجلس الأمة كما يسمونه، هو في حقيقته مجلس شيوخ مثل الذي في بلدي، لكن الأمر هنا يبدو مختلفًا على نحو ما، التهليل والتصفيق لم يتوقف طوال فترة انتظاري بالخارج، يبدو أن لديهم احتفالاً كبيرًا هذا اليوم، فما يكاد الرئيس يقول جملة حتى يقاطعونه بالتصفيق الحاد، الذي يستمر أحيانًا لدقائق طويلة، ثم سمعت صوتًا أشبه بقرع طبول، وضحكات عالية، وهتافات أعلى، لم يعد عندي شك الآن أنهم يحتفلون اليوم بمناسبة مهمة بالفعل، لكن مع تكرار الزيارة للمكان لعدة مرات خلال العام، تكرر الأمر ذاته كل مرة، فاقتنعت أن الرئيس يزورهم في مناسبات احتفالية محددة ليطبلوا ويزمروا له،

ففهمت أنه ليس مجلسًا للشيوخ كما ظننت، إنما هو ملتقى للراقصين وضاربي الدفوف!!

كنت سعيدة بمشاركتي بالموكب الرئاسي رغم أن الرئيس أحيانا يفضل سيارة ذات سقف غير متحرك، لكن إذا ما كان هناك ضيف مهم كنت أتصدر المشهد باستمرار، حتى عندما زار سوريا اصطحبني معه، ويا ليتني ما ذهبت، فقد حملوني به أثناء سيرنا بعدما اعترضوا طريق الموكب الرئاسي، وارتفعت حرارة الترحيب لأقصى درجة، كدت أتهشم من أسفلي لما تركوني فجأة، وبالكاد أفلتَ بنا السائق وقد ارتفع صوت موتوري، واحتجت بعدها لأسبوع بالجراج لتلقى صيانة استثنائية.

في مايو من عام ١٩٦٧ أصابني اكتئاب، لم أعد راغبة في العمل، ارتفعت حرارتي حتى في الظل، سمعت كل ما دار بين عامر وناصر وهما بداخلي، الأمر ينذر بكارثة وهما يتصرفان بأريحية كأنهما ذاهبان إلى رحلة صيد أسماك بسيناء، ولما وقعنا في الفخ أصاب الحزن الجميع، حتى الرئيس لم يفتح سقفي مرة واحدة بعدها، بدا متجهمًا ومنحه الزمن عشرات السنين على عمره بمُرها ومرضها، كان كلما استقبل ضيفًا مهمًا يخرج له بسيارة أخرى غيري، كأنه يتفاداني متعمدًا، فأنا شاهد العيان الوحيد على طريق النكسة، فاقتصر استخدامي عليه وحده فقط وفي مناسبات قليلة، حتى الهاتف الذي ركبوه بين مقاعدي الأمامية رفعوه مني، وشعرت أن أيامي باتت معدودة بعد انتحار المشير عامر ومحاكمة ضباط الطيران، لابد وأن الدور عليّ وعلى كل من كان شاهدًا!!

قبل موته بشهر لم يعد يستخدمني الرئيس على الإطلاق، ظل يركب أخرى أمريكية أيضًا، لكن بعيون جاحظة طويلة، ليست في جمالي ورشاقتي، فتعمدت أن أدير لها ظهري كلما التقينا بالجراج، قلت لنفسي ربما لأن اجتماعاته غلب عليها طابع الجدية بعد أزمة كبيرة مع دول عربية، فلم يعد مناسبًا فتح سقفي واستقبال الضيف بي، أنا مخصصة للبهجة، للأجواء الاحتفالية فقط فيما يبدو. أخبرت السيارة الأخرى أنها مخصصة للشقاء والأجواء المشحونة الانفعالية كي أغيظها، فانطلق بوقها بلا توقف، ففهمت أنها تسبني!

في نهاية المؤتمر الأخير سادت حالة من الاضطراب بالجراج، سيارات كثيرة خرجت فجأة ولم تعد، بقيت وحيدة وشعرت بقلق على مصيري، يا ترى هل قرروا الاستغناء عني مع أنني ما زلت شابة وقوية؟!

بعد مرور يومين علمت بالخبر الحزين.. مات جمال عبد الناصر، لم أستجب لسائقي بسهولة وهو يحاول إدارتي، احتجت لتغيير بطارية كهربائية بعدما نفدت التي بقلبي خوفًا على مستقبلي، استقلّني يومها أنور السادات، رجل أسمر خفيف الظل، كان دومًا مبتسمًا، لكنه اليوم حزين وواجم، أعرف أنه نائب الرئيس، لكنه تعامل معي اليوم كرئيس قادم لا محالة عندما جلس بالمقعد الخلفي كالطاووس، بعدما كان يتردد وهو يدخل صالوني قبل سنوات قليلة، أوصلته حتى بيت جمال عبد الناصر، ثم بعدها بقيت بلا ركاب، شاهدت النعش يخرج وحوله كثيرون، وتحركت سيارات أخرى، وقادني سائقي خالية، سرنا خلف الموكب في صمت، لا أرى بوضوح من الزحام، احتشد آلاف بالطريق ثم صاروا

ملايين، الكل يبكي وأنا أسير ببطء وراء النعش، حتى أجبرت على التوقف لساعات وخشيت أن تصيبني خدوش، لكن في نهاية اليوم عادوا بي سالمة إلى الجراج ونسوني بعدها عامين كاملين حتى أصابني العطب ونال مني الإهمال، فلم أعد صالحة للسير ولا لأي شيء.

3

عَلِمتُ من طريقة تجديدي المتسرعة، وقطع الغيار الرخيصة التي دسّوها بداخلي، أن الرئيس الجديد لن يستخدمني مرة ثانية، المهم لديهم الآن أن أدور وأسير لكي يراني أحدهم، فيوافق على استخدامي، ربما أخصص لوزير من الوزراء، أو سيبيعونني لأي شخص في أحد مزادات السيارات المستعملة التي يجرونها كل خمس سنوات، الذي تُساق الواحدة منا فيه إلى حتفها، تودع حياة النعيم إلى الشقاء، رأيت الكثيرات من قبل هنا، وصادفتهن بعدها بالشوارع، واقفات في انتظار مروري، حالتهنّ تبدلت، فقدن بريقهن، راحت الهيبة، وصرن مثل أي سيارة يملكها أي مواطن، أنا اليوم سأصبح مثل غيري، مثلهن جميعًا، سأغادر حياة الرؤساء والأمراء للأبد، سأعود عربة عادية مثلي مثل آلاف السيارات التي تسير بشوارع القاهرة غير الممهدة، تعاني من السير البطيء، معرضة للاصطدام في أي لحظة بأخريات، وقد لا تجد من ينفق على تجديدها مرة ثانية!

تخلى عني الرئيس السادات بعد توليه مقاليد الأمور بأخرى أمريكية بيضاء، وبألمانية سوداء، أقوى مني وأصغر عمرًا وأحدث طرازًا، جمع بين سيارتين، يبدو أن قوانينهم تجيز لهم ذلك، عرضوني مع سيارات غريبة عني في ساحة كبيرة، أرض خلاء بأطراف منطقة تسمى الهايكستب!

راح الناس يفحصوننا على مدار يومين، يعبثون بكل الأزرار التي بداخلنا، يتحسسون إطاراتي في ريبة، رغم أننا في حالة سكون تام، لا أفهم ما فائدة هذا الذي يفعلونه وما دلالته، إذا كانوا لن يروا نتيجته!!

في اليوم المحدد للبيع فضّوا المظاريف الخاصة بي، كنت من نصيب تاجر كبير من وكالة البلح، يرتدي جلبابًا فضفاضًا بُنيًا، معه شاب يبدو أنه ابنه، تسلم مفاتيحي وأوراقي وأدارني بغلظة وثقة، ظل يضغط على دواسة البنزين دون نقل الحركة حتى علا صوتي لأقصى درجة، وكدت أفقده، فانتبه في النهاية!!

انطلق بي في الطريق بسرعة عالية، ثم خفضها مضطرًا عندما واجه الزحام، لكنه لم يرفع يده عن المنبّه، كل برهة يطلقه بلا داعٍ، ليلتفت لنا قادة السيارات الأخرى بدهشة، ثم ترتسم على وجوههم ابتسامة إعجاب بعدما كشف سقفي، ولاحت أمام أعينهم الأريكة الجلدية البيضاء الناعمة، والمقاعد الأمامية العريضة الوثيرة، لازلت ألقى قبولاً عند غالبية الناس يرضي غروري، لكني أشعر ببعض الأسى لاستغناء الحكومة عني بدون سبب.

لم يستخدمني مالكي الجديد المعلم بيومي تاجر الوكالة إلا نادرًا، عندما يذهب لواجب عزاء، أو يجامل تاجرًا من الوكالة في حفل زواج، وأخيرًا عندما تزوج على زوجته من شابة صغيرة، فاصطحبها معه بداخلي إلى الإسكندرية، كانت ترقص بمقعدها طوال الطريق فأتعبتني، ذهبا لقضاء عدة أيام بمنطقة العجمي، لكنهما لم يغادرا الشاليه طوالها سوى للعودة إلي القاهرة، فلم أر شارعًا من شوارع الإسكندرية كما منيت نفسي برؤية البحر!

يتركني المعلم بيومي بالأيام داخل جراج كبير بمنطقة روض الفرج، فلا يكفّ أطفال الحي عن نزع غطائي، ليتحسسوا أبوابي ومرآتي، كنت لا أعبأ بهم في

البداية، لكن الأمر زاد عن حده لما راح بعضهم يفرغ أحد إطاراتي، وهو يضحك بشدة على صوت الهواء المندفع بقوة، ثم جاء آخر وترك لي ذكرى سيئة عندما جرحني بلا سبب، مستخدمًا مسمار صدئ، جرى به بعرض جسمي كله، فعلها بدم بارد، وملامح غير المكترث وهو يمر بجواري، ثم خرج بهدوء من الجراج كما دخل، كأنه لم يفعل شيئًا، وتركني ألعق جراحي في صمت، ولا أستطيع أن أعبر عنها!!

يبدو أن جرحي أصاب صاحبي بالتشاؤم مني، فلم يعد يستخدمني، رآني كئيبة المنظر بعدما كنت عروسة كما وصفني في أول لقاء... لكني لم أترك للأتربة والإهمال، فقد كان ابنه الشاب يقودني كل ليلة قبل منتصف الليل، ليعود بي بعد الفجر بقليل، طُفت به ومعه كل المناطق النائية والمظلمة بأطراف القاهرة، كانت المرة الأولى التي أزور فيها منطقة الأهرام، توقفت خلف الهرم الأكبر، تواريت عن أعين أصحاب السيارات القادمة خلف تبّة رملية، رحت أهتز بشدة، لا من الرهبة والعظمة التي أمامي، لكن مما يفعله الشاب بصديقته فأشعر بالخجل والخوف معًا!!

كل ليلة لديه فتاة جديدة، وكل يوم نذهب لمكان مختلف، فمن أعلى نقطة بالمقطم حيث تُطفأ مصابيحي الأمامية وأنا أرى القاهرة كلها تحتي، إلى طريق السويس المُعتم الضيق حيث تزمجر بجواري ناقلات الرمل والطوب، إلى مدق ترابي غير ممهد بيسار الطريق الصحراوي، وأخيرًا بمنطقة زراعية ذات أشجار عالية قرب القناطر الخيرية، للأسف لم أرها في ضوء النهار أبدًا، ذهبت معه

مضطرة كل مرة، حتى سئمت استخدامي الجديد وشعرت بمهانة وخجل من السيارات الإيطالية التي تستخدم الاستخدام ذاته لكنني كاديلاك عريقة، لست مخصصة لهذه الأفعال الصبيانية أبدًا.

كل ليلة ينغلق زجاج نوافذي على رائحة غريبة، وبقايا أغرب يتركونها وراءهم كأننا في مرحاض عمومي، والسائس لا يهتم بنظافتي جيدًا، رغم أنه يحصل على إكرامية كبيرة من الشاب كل مرة، يعتبرها ثمنًا لسكوته فقط عن النزهة الليلية فيما يبدو!

حتى جاء يوم وكنت شبه مغطاة قرب منطقة الصوت والضوء، الظلام يلف المكان، والشاب يقبل فتاته على أريكتي الخلفية، آهات الغرام تعلو بالتدريج، فجأة داهمتنا أنوار عالية آتية من بعيد، ثم علا صوت (سرينة) البوليس، الحقيقة أنني فرحت، أخيرًا سأتخلص من هذه المهمة المشينة التي وصمتني بالعار، لكن الشاب كان أسرع من كل توقعاتي، قفز كما القرد وأدارني وانطلق بي مسرعًا وصديقته تصرخ بهلع من الخلف.

قادني بسرعة هائلة عبر المنطقة الرملية، ثم دار بشكل نصف دائري، ثم انطلق في عكس اتجاه السير، ربما كان معتمدًا على قوتي إذا ما واجهتنا سيارة أخرى صغيرة، لا أدري فقد كنت أسير كالمجانين لا أعرف إلى أين سأنحرف بعد أمتار قليلة، لم أكن خائفة فتصفيحي منحني ثقة وقوة والسيارات تبتعد عني.

أفلتنا من كمين البوليس، لكننا صدمنا طفلاً صغيرًا كان يعبر الطريق أثناء نزولنا من منطقة الأهرام، لمحته أنا قبل سائقي، وتمنيت أن يفرملني أو يطلق بوقي لينتبه الصغير، لكن شيئًا من ذلك لم يحدث، شعرت بعظامه وهي ترتطم بشدة بشبكتي الأمامية وسمعت صرخته الأخيرة، رأيته وهو يطير إلى الأعلى، ليسقط جثة هامدة فيما يبدو على يسار الطريق، بينما زادت سرعتي حتى بلغت مائة وعشرين كيلومترًا دفعة واحدة لبضع دقائق، فلم يلحق بنا أحد.

لم أعد للجراج في تلك الليلة المشؤومة، أخذني الشاب إلى بيت أحد أصدقائه بمنطقة هادئة تسمى المعادي، كانت أول مرة أزورها، شوارعها أشبه بمتاهة لكنها غارقة في الهدوء، أدخلوني في حديقة فيلا كبيرة ثم أحضر أحدهم خرطومًا طويلاً وراح يغرقني بالمياه، لأكثر من ساعة وهم ينظفون آثار دماء الطفل، ويدورون حولي ويطلقون كشّافاتهم على جسدي كله، ليتأكدوا من سلامتي، ليطمئنوا على أنفسهم، أصبت بفدغٍ بسيط بمقدمتي، فأتوا لي بمن يصلحه، لكنه كان غشيمًا، آلمني من شدة الطرق على مقدمتي بشاكوش ضخم حتى اعتدل صاجي وعدّت كما كنت، لكن الحادث ترك أثرًا بسيطًا بي، تعرج خفيف بشبكتي الأمامية يكاد لا يُرى.

لدهشتي تركوني بهذه الفيلا يومين بعدها، لم يقترب مني أحد ولو من باب الفضول، في اليوم الثالث حضر المعلم بيومي، بدا غاضبًا، أدارني بسرعة وانصرف، طوال الطريق كان يضرب مقودي بكفيه في ضيق، لكني لم أعرف ما الذي أغضبه مني!!

نقلني المعلم بيومي إلى الوكالة، كنت أبيت في العراء كل ليلة أمام باب محله، تنام بعض الكلاب الضالة تحتي في الليل، وترتاح قطط الشوارع فوق غطائي القماشي فترة الظهيرة لتأخذ قيلولتها. بعد أسبوع ترك المعلم جريدته على المقعد المجاور للسائق، تصفحتها لقتل الوقت، الوقت الطويل الذي لا يمر كل يوم، وجدت إعلانًا عني بداخلها وصورة صغيرة لي، وصفني المعلم بأوصاف جميلة أسعدتني، لكنه كان يكذب، فما قاله لا ينطبق عليّ بدقة، لم تكن حالتي فابريقة كما كتب، فقد كنت أعاني وأحتاج لتغيير بعض الأجزاء المهمة بالفعل، لكنه لم يغيّرها لارتفاع سعرها وندرتها، قال إنّ طلائي لم يتغير بينما أنا تعرضت للطلاء على يديه شخصيًا بعد شرائي بأيام قليلة، وكاد يومها أن يغير لوني إلى الأبيض لأبدو أكبر وأطول، لولا أن نصحه صاحب الورشة الذي قام برش جسدي بأن تغيير لوني سيُقلل من قيمتي، والحمد لله أنه استجاب للنصيحة وبقيت هيبتي.

في اليوم التالي للإعلان حضر أربعة أشخاص، شاهدوني من بعيد إلا واحدًا، دخل وأدارني واستمع لصوتي وفتح بطني وعبث ببعض أسلاكي، تأكد من كمالياتي ثم حاول كشف سقفي، فاكتشف أنه لا يعمل، التفت للمعلم بيومي وساومه على السعر مُستغلاً عيوبي وأعطالي، ثم أخرج رزمة من النقود الجديدة دسّها بيد المعلم، كتبا ورقة صغيرة ووقعا عليها، وأخذني الرجل بعدها وانصرف إلى عمارة فارهة بحي الزمالك، فشعرت بأن الروح تعود لي من جديد.

4

أنا الآن مملوكة لسفير بوزارة الخارجية المصرية، خدم في بلاد أوروبية كثيرة، لديه ابنة وحيدة عمرها من عمري تقريبًا لكنها لا تجيد القيادة ولا تحب السيارات، زوجته هانم حقيقية من الزمن الجميل، الدنيا تبسمت مرة ثانية، معاملة راقية مختلفة، واستخدام هادئ، كلمات فرنسية التقطتها منهما باستمرار حتى أتقنتها، نخرج مرة واحدة نهار كل جمعة في مشاوير قصيرة، لم أعد أغادر منطقة الزمالك تقريبًا، صرت معروفة لغالبية سكان الحي، حجمي وسقفي القماشي الجديد ولمعان جسمي كلها تلفت الأنظار، خصوصًا إذا ما ذهبنا لنادي الجزيرة، الكل يتسمر مكانه ويتأملني بإعجاب، عادت لي ثقتي بنفسي، وصرت أعمل على نحوٍ أفضل، على الأقل بلا أعطال، لديّ راحة نفسية كبيرة ليقيني أنه سيرسلني إلى وكيلي الأمريكي هنا لو أصابني مكروه.

كان اليوم هو الثلاثاء، والساعة تقترب من الحادية عشرة صباحًا، فوجئت بأن السفير وزوجته وبعض الحقائب يتراصون أمامي، بعد قليل كان الجميع في جوفي، وسائق حكومي يقودني في طريقنا للمطار، فهمت أثناء الطريق أن السفير سيغادر مع زوجته إلى بلد جديد لمدة أربع سنوات قادمة، سأبقى مع ابنته، هي التي بيدها مفاتيحي منذ الليلة، لكنها تستخدم سائق أبيها، لا بأس فهو سائق وقور هادئ ذو خبرة بالسيارات، على الأقل سأعيش حياة أكثر هدوءًا، فقط كنت عاتبة على السفير لعدم إبلاغي بنبأ السفر وكنت آخر من يعلم.

بعد أيام قليلة تبخرت أحلامي، فوجئت بسائس الجراج يفتح صندوقي الخلفي ويضع حقيبة متوسطة، ثم يقودني قرب منتصف الليل إلى منطقة غريبة لم أذهب إليها من قبل، طريق ترابي صغير يفصل الغيطان عن العمران، يلتقيان في نهايته. تلاحم قبيح مريب بين الريف والمدينة، الأول يقاوم والثانية تضغط لتزيحه وتبتلعه، لها الغلبة كما هو واضح أمامي من كتل أسمنتية كثيرة متناثرة بعشوائية.

توقفت بأمر من قدميه، أطفأ كل أجهزتي لكنه بعد برهة راح يومض مصابيحي الأمامية، يطلق أنوارًا متقطعة كل فينة وأخرى، ليقترب منا أشخاص غرباء مريبون، يفتح لهم صندوقي الخلفي ويسلمهم شيئًا، ويحصل على نقود منهم وينصرفون وهكذا، حتى فرغت الحقيبة فوضعها على دواستي الأمامية بجواره، ثم استدار بي ليعود إلى الجراج قبل أن ترسل السماء أول خيط نور.

استمرت رحلتي اليومية مع السائس، بينما كل جمعة أذهب في رحلة أخرى هادئة بلا توتر ولا انتظار، إلى منطقة مصر الجديدة حيث تزور ابنة السفير جدتها، تصطحبها معها بداخلي لإحدى النوادي الكبيرة، ثم يتناولان طعام الغداء بمطعم قريب لنعود قرب المغرب إلى الجراج. تكونت لي ذكريات جميلة بهذه المنطقة، كثيرون يلتقطون صورًا بجواري، بعضهم يتظاهر بفتح بابي وآخرون يجلسون فوق مقدمتي.

ترك السائس لابنة السفير يوم الجمعة بالكامل لتستخدمني بحرية، أعطى نفسه عطلة من العمل، فلم أكن أخرج مرة ثانية إلا في صباح السبت ذاهبة

إلى المحطة القريبة، حيث يراجع السائق منسوب المياه بداخلي ويزوّدني بالوقود، ويهتم بنظافتي الخارجية والداخلية لأستعد بعدها لرحلة توزيع المخدرات في الليل.

خرجنا كالمعتاد أنا والسائس في طريقنا إلى المنطقة الزراعية الأسمنتية، فجأة استوقفنا ضابط شرطة سائلاً سائقي عن أوراق هويته وهويتي من قبلها، بثقة يحسد عليها قدم لهم الأوراق مُعلنًا أنه سائق جناب السفير، فسمحوا له بالعبور بأمان، لم نكن نتصور أنا أو هو أنهم يعدّون لنا فخا محكمًا بعد قليل، تخيلنا أننا نجحنا في خداعهم، فتخلينا عن الحذر، كان السائس فرحًا وهو يرفع من صوت الراديو ليصدح صوت المطربة شادية عاليا، بينما كنت أقطع الطريق في صمت متمنية الخلاص حتى أتى بعدها، كانت أبواب السماء مفتوحة كما يقول المصريون!

وصلنا لنقطة التوزيع الليلية، ما أن تقدم من السائس أول عملائه وسلمه لفافة المخدر، حتى أطبق علينا البوليس من الأمام والخلف، أحاطوا بي جميعًا حتى صرت أُرى بالكاد وسطهم، اقتادوا السائس لعربة الشرطة مكبلاً بالقيود، وقادني أحد الضباط مع زميل له، راحا طوال الطريق يتغزلان في إمكاناتي ويجربان أزرار التحكم المختلفة بداخلي، لدرجة تمنيت معها أن أنتقل للخدمة معهما بوزارة الداخلية ولو متطوعة من فرط التقدير والمعاملة الكريمة الرقيقة التي تلقيتها منهما!

في قسم البوليس تبدل الحال، تحفظوا عليّ مع إنني مجني عليها ولست متهمة، سمعتهم يقولون إنني وسيلة النقل، تلك تهمتي فيما يبدو، ولا أعرف عقوبتها، أصابني القلق فهي جناية كما ردد المحامي الذي أتوا به لينقذ السائس، ولما فشل في إخراجه من القسم ارتكن بظهره مع آخر على جسمي وراحا يثرثران عن خطورة الوضع الذي نحن فيه.

أمضيت أربعة أيام في مكاني بعد حبس السائس، وضعوني بين سيارتي شرطة أمام باب القسم مباشرة، أفرغوا إطارين من إطاراتي، ربما خشوا هربي مع أحد إذا ما غفلوا عني، مع أنهم استولوا على مفاتيحي وأوراقي كلها بعدما فتشوني بدقة. لدهشتي فإن ابنة السفير لم تسأل عني، ولم يساور سائقها القلق على غيابي، ربما علموا بما حدث لي، لكنهم لم يتمكنوا من استعادتي لسوء موقفي بالقضية، لدي قناعة كبيرة أنني مظلومة لكني لا أملك من أمري شيئا، ولابد أن الحق سيظهر ولو بعد حين.

لاحت البوادر بعد أسبوع، ظهر السائق مع ابنة السفير وبصحبتهما شخص ثالث له هيبة ونفوذ. بعد ساعة واحدة كنت أستعد للتشغيل، استبدلوا إطاراتي الفارغة بأخرى، أزاحوا طبقة الأتربة السميكة التي تغطي زجاجي الأمامي كله، مسحوا كل قلوب الغرام التي وضعها أحمد ومنى وعزة وشريف وآخران لم أستطع قراءة خطهما لرداءته، محوا بعض عبارات السباب التي كتبها شاب غاضب منذ يومين أثناء انتظاره لأبيه المقبوض عليه بالقسم، وأزالوا من فوق

الزجاج الخلفي العبارة الشهيرة لمشجعي النادي الأهلي التي يرددونها بعد فوزهم في كل مباراة كالمعتاد منذ وصلت مصر!

تصورت أن الشوق استبد بابنة السفير، ولابد أن والدها هاتفها لتنقذني من أسري، بعدما أمضيت أياما محبوسة أمام القسم في العراء والبرد وكاد أن يعلوني الصدأ، لكني اكتشفت أنها فتاة مادية، بلا مشاعر، تريد استغلالي لمصلحتها، بعدما عرض عليها منتج سينمائي كبير، عرضًا مُغريًا صعب عليها رفضه لتأجيري باليوم، سأظهر في أفلام سينمائية وأنال شهرة، سيعرفني الجمهور، سأعود للأضواء مرة ثانية مثلما كنت ألفت الأنظار في ديترويت قبل سيري بالطريق.

تعرضت للشقاء أثناء أيام التصوير، العمل مُضنٍ للغاية، أكثر من ستة عشر ساعة متصلة يوميًا لمدة أسبوع كل شهرين تقريبًا، خَربت بسرعة أجهزة دقيقة بداخلي من سوء الاستخدام، ومن فرط تركيب آلات تصوير على مقدمتي وتعدد السائقين الذين تناوبوا على قيادتي.

فتح سقفي كان مغريًا لأي مخرج سينمائي، حتى شعرت أنهم يكتبون مشاهد خصيصًا لهذا الغرض، ربما لا علاقة لها بالسياق الدرامي للقصة. في يوم التصوير الرابع طمعت فنانة شهيرة فيَّ، طَلبت من المنتج استعارتي ليومين فوافق بسهولة وكأنني مملوكة له، لابد وأن له غرضًا آخر بعد الانتهاء من

التصوير. لم تكن الفنانة الشابة تجيد القيادة على الإطلاق، رفعت صوتي وأجهدتني من الأمتار الأولى، شعرت لوهلة أنها نسيت وجود عصا صغيرة بالمقود لتغيير السرعات حتى لا يعلو صوت موتوري كزئير الأسد، الشمس حارقة ومع ذلك فهي تصمم على ترك سقفي مفتوحًا، السخونة تلفح مقاعدي وكل جسمي، صرت ساخنة أحتاج لمياه كثيرة، ولظلال أرتاح تحتها، لكنها تركتني حتى الغروب على حالي، استهلكتني حتى ملّت اللعبة. ربما شعرت أنني طويلة أكثر من اللازم، وصعبة القيادة في الأماكن المزدحمة، فأتت بسائق شاب ليعيدني للاستديو لأستكمل فيلمي الأول الذي أصبحت أنتظر عرضه بشغف، بعدما ارتفع سقف طموحاتي ولامس السماء، حتى توقعت ظهوري على أفيشات إعلانات الفيلم السينمائي الأول لي بمفردي.

5

شهرتي تجاوزت توقعاتي، صار الكل يعرفني، يشيرون نحوي كلما مررت بجوارهم، بعضهم يلتقط صورًا لي في كل الأوضاع، بعضهم هنا ليسوا نكرات، غالبيتهم نجوم ونجمات السينما المصرية، وبعض لاعبي الكرة، ومقدمي البرامج، جيران السفير يبتسمون لي، يحكون حكايتي لمرافقيهم، مع أنّ مشاهدي في الفيلم لم تكن كثيرة، لكنها فيما يبدو مؤثرة.. فالبطل والبطلة أحبا بعضهما بداخلي، فأنا الشاهد الوحيد على غرامهما وقبلاتهما وعناقهما، عاصرت لحظات المرح والبهجة قبل أن تصيبهما اللعنة ويتشاجران ويطلقها، ليطردها من داخلي، كل هذه المشاهد كانت الكاميرا تدور حول تفاصيلي من الخارج والداخل، دللوني كثيرًا وقت العمل رغم قسوته، حمام بارد قبل تصوير أي مشهد، وأحيانا أحصل على آخر وسط التصوير إضافة إلى التلميع، الحرص على نظافتي ورونقي جددا شبابي. أنا الآن أشعر بحيوية، أريد الانطلاق، لكن هذا لا يحدث في الواقع أبدًا، كله خيال أمام الكاميرا فقط، وبعدها تطفأ الأنوار وينفضّ المولد وأعود للانزواء في الجراج!

تعاقدت ابنة السفير على فيلم آخر، ومسلسل تلفزيوني، وأغنية لهاني شاكر. التجربة الأخيرة كانت مثيرة، فأنا أظهر طوال مدة التصوير في كل المشاهد، مرة وهو يقودني، مرة ثانية وهو يقف بجواري، وثالثة في طريقه إلى البحر وأنا واقفة بظهري بجواره، يفتح سقفي ويغلقه وقت سقوط الأمطار، الرجل لديه إحساس مرهف ويتعامل معي كأنني سيارته بالضبط. انتهى التصوير لكن الأغنية لم تعرض، فهمت من ردود أفعال الجماهير، لا أحد يذكرها أمامي لكن الكل يتحدثون عن الفيلم الأول فقط. بعدها توقفت العروض فجأة، لم أعد أذهب للتصوير، وصار من المعتاد أن أبقى بالجراج

أكثر من أسبوعين بلا حركة، أحيانا مجرد دفعة للأمام ببطء بأيدي السائس لكي تخرج السيارة التي خلفي ثم يعيدني إلى مكاني مرة ثانية بالطريقة ذاتها.

ظهر فجأة إعلان لفيلم جديد اسمه البنات والمرسيدس، شعرت بغيرة، فاسمي لم يكن على أفيش الفيلم الذي صورته، لكن المرسيدس يتصدر اسمها وصورتها الإعلان كله، هي البطلة من المؤكد، وليست مجرد ظهور عابر في بضع مشاهد، تكرر الأمر وصارت السيارات المرسيدس تحصل على كل الفرص لتنتشر وتغزو الشوارع، لدينا أربعة منها الآن في الجراج والكل يهتم بها ويدور حولها. انزويت أكثر وشعرت بالتجاهل حتى بات أقصى طموحي أن أخرج في نزهة طويلة قبل أن تموت بطاريتي.

عاد السفير من إجازته السنوية، لدهشتي لم يبدِ ترحابًا بي رغم فراقنا أكثر من عام تقريبًا، كان باردًا لم يهتم بي، بل اشتكى للجميع من حالتي المزرية، وصعوبة التنقل بي لأنني كبيرة الحجم، وأحتاج لوقود أكثر من المعتاد، أكثر ما آلمني في كلامه لما قال لابنته: العربية دي واقفة علينا بالخسارة!

إلى هذه الدرجة أتحمل المسئولية كلها وحدي؟ لماذا نسوا كل ذكرياتهم الحلوة معي؟ لماذا تناسوا لحظات اللهفة والشغف على شرائي ولقائي أول مرة؟ كانوا يعبثون بأزراري وهم لا يعرفون الكثير منها، ولا كيفية استخدامها، كانوا مبهورين بأدائي وقوتي، كانوا يشيدون بحجمي واتساعي، الآن صرت عبئًا وصارت كل مميزاتي عيوبًا!!

صباح يوم ممطر نزل السفير من بيته، سعدت وزمجر موتوري عاليًا تعبيرًا عن البهجة وهو يدير المفتاح، اشتقت لهذه اللحظة، ولابد أن الشوق استبد به هو الآخر لكي ينزل في هذا الطقس السيئ ليقودني، أحب الشتاء وزخات المطر على زجاجي، أتلذذ بإبعادها وتنحيتها كلما هبطت وسالت ببطء حتى تلامس مقدمتي، أشعر بالنشوة أكثر

وأنا أمسحها بقوة كلما اشتدت وصارت ماء منهمرًا، وأنا أعمل جاهدة بمساحتين لكي يرى قائدي طريقه.

انطلقنا إلى مدينة المهندسين، سلكنا شوارع ضيقة بعضها غير ممهد، لكني لم أشكُ ولم أتعطل، تحملت كل الصعاب من أجل متعة الرحلة والصحبة، توقفنا أمام مكان كبير تتراص السيارات الجديدة أمامه في صف واحد. المطر ينحسر، والسحاب ينقشع، والشمس تزاحم لتعود للظهور ولو كمجرد جسم يرسل ضوءًا بلا دفء، تفاءلت وانتظرت أمام السيارات الأخرى أنظر لها بتحد وكبرياء، كلها يابانية متشابهات صغيرات، ولابد أنهن رخيصات أيضا، لا توجد واحدة في جمالي وعراقتي.

طال انتظاري حتى أصابني الملل ثم حاصرني القلق لما وجدت صاحبي يقف على مبعدة مني يعطي مفتاحي لرجل ضخم ذي بطن منتفخة، وأرداف مهيبة، وشعر أشعث، وملامح فظة، ثم صافحه في احترام ورقي لا يصدران إلا من دبلوماسي عريق مثله، حتى ولو كان محدثه سوقيًا كما أرى. تسلـّم السفير من الرجل مظروفًا كبيرًا من النقود، راح يحصيها في سرعة، ثم دسها في جيبه مسرورًا وانصرف، انتبهت، لابد وأنه سيتجه ناحيتي، لابد وأنه غفل عن مكاني، لكنه يبتعد ويبتعد.. راح يشير لسيارة أجرة قديمة متهالكة، توقفت بالطبع من فورها، وضع نفسه بداخلها وملامحه لا تزال رائقة راضية، تركني ومضى وغاب عن نظري من يومها للأبد، دون حتى أن يلتفت لي في نظرة وداع أخيرة، كنت أظن أني أستحقها.

6

تركني صاحب معرض السيارات بالشارع، اكتفى بالدوران حولي ثم تأكد من إحكام إغلاقي وانصرف، لما اقترب مني تذكرت ملامحه، رأيته من قبل وتذكرت الآن أين التقينا، حضر إلى الجراج مع آخرين منذ أيام وجلس بداخلي، واستمع لصوت موتوري، وطرق بكفه على مؤخرتي عدة مرات، وتفحص صندوقي وإطاري الاحتياطي، ثم فتح بطني وطلب من أحد مساعديه إبطال محركي، وراح يفحص كل قطعة بعناية ثم أغلق المقدمة بعنف آلمني وانصرف.

علمت الآن أنه يمتلك معرضًا للسيارات المستعملة، ويبيع سيارات يابانية جديدة، لا شك أنها ستعجب المصريين لصغرها وسهولة قيادتها وكمالياتها الكثيرة، أمثالي في طريقهم للانقراض، تأكدت اليوم أنني إلى زوال بعدما أفل نجمي لما سمعت أحد صبيان الرجل يسأله باستنكار وهو يشير نحوي: وكان لزومها إيه الداهية الكبيرة يا معلم؟

ليرد عليه مالكي الجديد بلامبالاة: سعرها لقطة وصاحبها غشيم فرح بالقرشين اللي دفعتهم فيها وأنا قلت تنفعني في مشوار البلد، شنطتها كبيرة وتشيل خروفين أو تلاتة كل مرة!!

صدمتي كبيرة في أن تكون نهايتي مجرد عربة لنقل الماشية. اهتززت في مكاني من الصدمة ثم اكتشفت أن بعض الشباب قرروا معاملتي كمنضدة طعام، بسطوا جريدة قديمة فوق مقدمتي تراصت فوقها أطباق فضية صغيرة لأقراص بنية، وحبيبات فول، وبعض البطاطس، وأصابع سوداء ملتوية لم أعرفها، ثم

رأيت عشرات الأصابع تمتد إليها بلا توقف، يأكلون ويتكلمون ويضحكون بصوت عالٍ، بقايا الطاعم تناثرت فوقي، سالت زيوت على شبكتي الأمامية كأنها دموعي ترثي حالي، مسح أحدهم كفّيه في سقفي القماشي ثم نظف حذاءه مما علق به في إطاري الأمامي وانصرفوا لمباشرة عملهم بداخل المعرض بعدها وكأن شيئا لم يكن.

من بعيد صاح مالكي الجديد آمرا أحد صبيانه بنقلي إلى الجهة الأخرى؛ لأنني أسد مدخل معرض السيارات على حد تعبيره، وضعوني بجوار الطريق، نصفي صعد فوق الرصيف وبجواري صندوق قمامة ضخم، خشيت أن يأتي ضابط بوليس ويضع قيودا حديدية حول إطاري أو يرفعني بناقلة سيارات إلى مكان مجهول، حتى يأتي صاحبي ويحررني بعد دفع الغرامة، لكن شيئًا من ذلك كله لم يحدث حتى لما ظهر رجل البوليس ظل مبتسمًا وهو يتفحصني بإعجاب ثم دس صاحب المعرض في جيبه بضعة جنيهات فانصرف في هدوء وهو يلوح له راضيًا.

تحركاتي كانت محدودة، كلها داخل منطقة المهندسين بالجيزة، يفتح صاحبي السقف القماشي، ويسير ببطء ويرفع صوت الراديو عاليًا؛ ليلفت أنظار المارة، يبتسم لهم في بلاهة كأنه نجم من نجوم السينما، تظل الابتسامة البلاستيكية مرافقة لملامحه حتى ينتهي من جولته شبه اليومية ليضعني أحد صبيانه على الرصيف المقابل.

صرت لا أمثل شيئًا سوى مصدر لهو لصاحبي، ومصدر رزق لرجل البوليس الذي يتغاضى يوميا عن مخالفتي ليضع قيمتها في جيبه، حتى قرر مالكي الجديد استخدامي في أول رحلة طويلة إلى بلدته، الرحلة التي تهيبتها وتخوفت من حدوثها، رحلة نقل الخراف بصندوقي الخلفي، رحلة الذل والمهانة، لكن اللحظة أتت ولا مفر من القدر.

بعد أكثر من أربع ساعات ونصف الساعة وصلنا بلدة ريفية تحاول التماسك أمام زحف العمران المدني نحوها، لافتة كبيرة في مدخلها تقرأ "ديروط". للوهلة الأولى فرحت وظننت أنني عدت إلى ديترويت لكني اكتشفت خطأي بعد قليل، الوجوه والشوارع والعربات والمباني من حولي كلها تؤكد أنني وقعت في خطأ جسيم فادح.

تكررت الرحلة كل ثلاثة شهور، نذهب لنبيت ليلة في ديروط، ونعود في اليوم التالي محملين بخراف مذبوحة مسلوخة، وطيور مختلفة أحجامها، لم أعرف نوعها بسبب عدم وجود رأس لها، صفائح كبيرة تحوي شيئًا ذا رائحة نفاذة لا تطاق تسربت إلى صالوني عبر صندوقي الخلفي ولم تفلح كل أنواع المطهرات في إزالة رائحتي العفنة من بعدها.

صرت أشعر بحرج بالغ كلما دخل أحد صالوني فيتأفف فورًا سائلاً عن تلك الرائحة، ليجيبه صاحبي ببرود وهو يضحك، قائلاً كلمة لم أفهم معناها أبدًا: (**مِشّ**[3])!

[3] نوع من الأجبان المصرية المصنوعة من تخمير الجبنة المملحة، وهو من الأغذية المشهورة في ريف مصر.

7

المفتاح يدور مرات ومرات وأنا لا أستجيب، لا أعرف السبب لكني أشعر بقلق بالغ، لا أريد أن تنتهي حياتي في ديروط، لا توجد هنا مقبرة للسيارات مثل التي في ديترويت، لن أموت مرة واحدة بسرعة وينتهي الألم مثلما يحدث في بلدي، الأمر هنا مختلف، أشبه بتعذيب مستمر كطير مذبوح، سأتحول إلى خردة، سيقطعونني ويأخذون كل مرة قطعة من قلبي وبطني لتوضع لعربات أخريات، سأكون مثل المتبرعين بالأعضاء، سأموت ليحيا غيري ويسير وينقل الناس، لا أريد هذه النهاية التعيسة هنا.

لحسن حظي أن صاحبي ليس متسرعًا، لما نفد صبره استدعي ميكانيكي ليحاول إدارتي لكنه بعد ثلاث محاولات متصلة من العمل فشل. الحقيقة إنني توقعت فشله من أول محاولة، عندما لم يعرف المكان الذي تنفتح منه بطني وفمي، ظل يتحسس أجزاء كثيرة بداخلي وبمقدمتي حتى كادت أصابعه أن تُحشر بين فكـَيّ، وتمنيت أنا أن أقطعهم، لكنه سحبها في اللحظة الأخيرة. ظل يعبث بأسلاكي وخراطيمي، يفك هذه ويربط تلك، ينحني أسفلي ثم ينام على ظهره، يخرج من حقيبته عشرات الأدوات يعملها في باطني لكنني لا أستجيب، صرت قطعة من الحديد صماء خرساء، ثم أخرجت بعضا من زيوتي فوق رأسه وهو نائم أسفلي فخرج وهو يمسح وجهه ويلعنني أنا وبلدي وحكومتي وكل السيارات التي تنتجها بلادي!!

لم يكن على دراية بعائلتي ولا أصولي، ظن أنني مثل أي أخرى إيطالية سهلة وطيعة، لا يعرف أنني احتاج لعناية خاصة لا يمكن لأي شخص والسلام أن يعبث بي، ويظن أنه سينجح فلاقى ما يستحقه. قرب الغروب أتَوا بغيره ثم بثالث، كان الأخير أكثر دراية وفهمًا عن سابقيه فاستجبت على استحياء، لكنهم قرروا إنني أحتاج لمراجعة شاملة تتكلف ألوفًا من الجنيهات، ثم مال أحدهم على أذن صاحبي قائلا بخبث: نصيحة مخلصة ما تساويش تدفع فيها قرش، بيعها أحسن لك!

لا أعرف كيف يستغنون عني بهذه السهولة كل مرة، لا يوجد لدى من يملكني أي انتماء لي، ولا ذرة تقدير للأيام والشهور التي أمضيناها معا، تحملت كلا منهم فيها هو وعائلته وأصدقاءه وخرافه وطيوره!

اشتراني رجل يرتدي الملابس البلدية، ذهب بي إلى جراج ضخم لكنه مفتوح من الجانبين، بلا أبواب، بداخله عشرات السيارات، لكنها لا تشبهني، ولا تنتمي لعائلتي إلا واحدة من عائلة البويك، هي عائلة جيدة لكنها ليست عريقة مثل الكاديلاك، حالتها متهالكة ولونها الأصلي فيما يبدو كان أزرق لكنه تغيّر بسبب تركها في العراء لفترة طويلة.

انتبهت إلى شواكيش تدق في جانبي ورافعة ترفعني، زيوتي وسوائلي كلها تخرج مني، قلبي أمام عيني على منضدة خشبية كبيرة وأربعة رجال يعالجونه، إطاراتي تبدلت ووضعوا لي فروة خروف في المسافة الفاصلة بين المقود والزجاج الأمامي، وغطوا أريكتي الخلفية ومقاعدي الأمامية الجلدية الفاخرة بقماش

رخيص ثقيل مزركش، ثم أتوا بكتاب يبدو أن له قداسة ما عندهم فقد قبّله السائق ثلاث مرات ثم وضعه على جبينه قبل أن يزين به مقدمة السيارة من الداخل فوق فروة الخروف، أما في المسافة بين الزجاج الخلفي والأريكة فقد اشترى كلبًا بلاستيكيا متوسطا وضعه بمنتصفها، وكل برهة يهز رأسه في استفزاز لقائدي السيارات التي خلفي، بعدها وضعوني في فرن كبير لبضع ساعات خرجت منه لا أعرف نفسي، صار لوني نحاسيًا لامعًا، ومن بعدها تمنيت ألا أقف أمام مرآة.

جاء بعد يومين رجل طويل نحيف يحمل على ظهره أنبوبًا ضخمًا يمتد منه خرطوم رفيع، وبصحبته رجل بوليس فشعرت برجفة، لكن لدهشتي قام الرجل النحيف برش جانبي الأيمن بلون أبيض على هيئة شريط عريض، وكذلك فعل بالناحية اليسرى، ثم أتى شاب يرتدي جلبابًا يحمل دلوًا صغيرًا وفرشاة راح يغمسها فيه ليكتب بخط جميل منمق أسفل مقبض البابين الأماميين "٣٩٨٢ أجرة ديروط"!

تَسلّم صاحبي الجديد لوحاتي المعدنية من رجل البوليس، وقاموا بتثبيتها على رفارفي من الأمام والخلف، علت صيحات المباركة من الجميع، انتفخت أوداج مالكي كأنه قبطان سفينة تيتانك يستعد للإبحار، نظر للموجودين حوله بعظمة قائلا بصوت جهوري: الواد ربيع هو اللي يطلع بيها من بكرة على بركة الله!

أهتز بشدة، تترجرج إطاراتي، يتدافع الغبار من خلفي فيغطي صندوقي وزجاجي الخلفي، فوق سقفي المعطل وضعوا شبكة حديدية كبيرة لا أعرف كيف ركّبوها، تتراص عليها أقفاص الدجاج، لا تكف طوال الطريق عن النقنقة. بداخلي أكثر من ثمانية أشخاص، أول مرة أستضيف هذا الكم من الركاب، كل منهم يدفع جنيها في مشواره، لا يكفي ثمنًا لنصف شرابي من الوقود، فلم تمضِ أيام حتى أجروا لي تعديلاً بقلبي، صرت أتقبل السولار وقودًا، رائحته لا تطاق وأدخنة بيضاء كثيفة تخرج مني طوال السير، أنا متعبة.. مجهدة.. مُهانة.. ولا أحد يهتم بي في هذا الكفر البعيد عن موطني.

فقدت الأمل في العثور على من يمكنه إعادتي إلى القاهرة.. للحياة العادية كأي سيارة قديمة، الحياة التي أندم عليها الآن. لا أقول إنني أريد العودة إلى ديترويت، أعلم أنه مستحيل، حتى لو وجدت العاشق الذي يدفع مهري ويشتريني، فالقانون هنا يمنع خروجي من مصر، إلا بعد مرور أربعين عامًا على مولدي. الأمل الوحيد الآن أن يعجب بي هاوٍ مجنون ثري، أو أحد أعيان ديروط ليكرمني في آخر أيامي، لا أريد التحول إلى قطعة خردة في هذه البلدة، ولا أريد أن......

خرجت من شرودي وأفكاري بسبب توقفي المفاجئ، كدت أصطدم بجاموسة تعبر الطريق، رمقتني بنظرة متعالية من طرف عينها، الكبرياء واضحة على ملامحها، والاستعلاء يتدفق من عينيها بغزارة. انطفأ محركي بعدها ولم يستجب لربيع، ربما من فرط سخونتي وضيقي بالعدد الهائل داخل صالوني.

ظللت أتابع الجاموسة وهي تسير بخيلاء عبر الغيط القريب، لاحت منها التفاتة للوراء، ومضة سريعة ثم أكملت سيرها، حالها أفضل مني ولا شك، حتى ولو كانت تُجرّ بحبل طويل، فأنا يقودني شاب أرعن حافي القدمين، لا يكف عن البصق من نافذتي ليسيل لعابه على جانب بابي الأيسر أحيانا، رائحته لا تحتمل، والتصقت بغطاء مقاعدي، ولا يتوقف عن إخراج غازاته المكتومة بمقعد السائق الرئيسي طوال سيره بي، خاصة في المنحنيات الخطرة والضيقة!!

صرت كريهة.. قبيحة، وكلما عبرنا شريط القطار تمنيت أن ينطفئ محركي فجأة كما هو الآن فوق القضبان ليأتي القطار ويريحني ويضع نهاية لرحلتي من ديترويت إلى ديروط، لكن القدر لا يريد لي هذه النهاية فيما يبدو أو على الأقل الآن.

ظللت معطلة على الطريق لأكثر من ساعتين، غادر الجميع، آخرهم شاب غاضب ركل بابي بلا سبب وهو يمضي بعيدًا عني ليبحث عن وسيلة مواصلات أخرى. تركني ربيع السائق قرب الترعة بعدما وضع حجرًا أمام إطاراتي الأمامية كي لا أنزلق، بعدما جذب عصا فرامل اليد بعنف فخرجت في يده!

على مقربة مني أسمع جلبة تأتي من خلفي، ثم ارتفعت حتى صارت ضوضاء صاخبة، أكثر من عشرين طفلاً في سن الصبا خرجوا كالجراد من الغيطان القريبة، معهم كرة قماشية صغيرة، أقاموا مرمى خلفي وراحوا يبحثون عن أحجار كبيرة تصلح للمرمى الثاني المنتظر كي يبدأوا اللعب، رحت أدعو كي

يلتفتوا لي، لا يحتاجون سوى أن ينظروا تحتي، الأحجار المنشودة أمام إطاراتي فليلتقطوها ويتركوني أواجه مصيري!

بعد دقائق مرت ببطء شديد صاح أحدهم أنه وجد حجرًا كبيرًا مناسبًا أسفلي، ثم تعالت صيحاته وهو يجذب الثاني بسرعة، لكن قدمه انزلقت وصدمته أنا برفق ثم مررت فوق جسده، وهو يحاول تفادي إطاراتي الأربعة بينما رحت أنزلق بسرعة نحو الترعة، ثوانٍ قليلة وصياح الأطفال يودعني، لا أعرف لِمَ يهللون ويضحكون بينما تغوص مقدمتي في الماء لتلامس القاع القريب بعد قليل، ولا تظهر مني سوى مؤخرتي وصياح الصبية يبتعد عني، تركوني أموت وحدي وربما انشغلوا بعدها بلعب الكرة وكأنني لم أكن هنا!

***

جلس الشيخ عبد التواب على أريكتي الخلفية، خلع نعليه ووضع ساقيه بخُفِّه أسفله، أخرج مسبحته وراح يشكر ربه، لمح حفيده بلال من بعيد، ناداه ليستعجله، اقترب الفتى منا، وجلس إلى جواره على الأريكة، نظر له الجد بحنان وهو يقول: ها.. جاهز؟

أومأ بلال بالإيجاب، مد يده إلى جوار الشيخ والتقط الجريدة الصباحية، فردها وراح يقلب في صفحاتها، يبدو أنه لا يعرف من أين يبدأ. رجع الجد بظهره

إلى الوراء وهو يتمطّى فاردًا ساقيه ببطء مستمتعًا بأشعة الشمس التي يجلسان أسفلها مباشرة، طلب من الحفيد البدء في القراءة من الصفحة الأخيرة حيث الأخبار الخفيفة المتنوعة.

دار بلال بعينيه على عناوين الصفحة، ثم اختار أبرزها الذي يحمل صورة الرئيس جون كنيدي وقرأ له خبرًا عن إعادة فتح التحقيق في مقتل الرئيس الأمريكي بعد اكتشاف أدلة جديدة من إعادة تحليل عينات الدماء للمرة الثالثة، والتي كانوا قد وجدوها على أريكة السيارة الكاديلاك السوداء التي كانت تقله وقت الحادث!

دهشت وسرت رعدة في أريكتي الخلفية، انتابتني مشاعر متباينة، ورد ذكري بالخبر، لا يزال هناك من يتذكرني! لابد وأن صورتي بالخبر لكن بلال لم يهتم بذكري لجده، يتحدثون عن اليوم الفارق في حياتي كلها، لو لم يقتل كنيدي لتغير مسار حياتي كلها، لِما غادرت بلادي، لِما ذهبت إلى الخليج، لِما وصلت للأمير وعبد الناصر، لِم مررت بكل هذه المحطات حتى وصلت إلى ديروط، لتكتب نهايتي على يد صبية صغار بالصدفة!!

شردت تماما ولم أعد أسمع ما يقوله بلال، صورة كنيدي وجاكي فقط في مخيلتي يجلسان في المكان ذاته الذي يجلس عليه الآن عبد التواب وبلال، أكاد أسمع همساتهما لكن عبد التواب يتجشأ كل برهة بصوت عالٍ فيفسد عليّ ذكرياتي.

ظلت الشمس ترسل أشعتها بكرم مبالغ فيه حتى أحالت أريكتي إلى فرن يشوي الأبدان، غادرها الجد والحفيد ودخلا دارهما، تركاني وانصرفا، تركا ما تبقى مني بعد غرقي وتمكن الصدأ والعطب مني، أنا الآن مجرد أريكة خلفية ولا شيء آخر، أريكة سيارة قديمة تقبع أمام دار الشيخ عبد التواب عبد الصمد عبد ربه مأذون الناحية، يجلس عليها كل صباح، وفي الليل تنام كلبته السوداء فوقي، ولا أعرف إلى الآن أين ذهبت بقيتي.

تمت

قراءة في قصص مجموعة "عالم يشبهنا"

موسى إبراهيم أبو رياش

قراءة في قصص مجموعة "عالم يشبهنا"

التقاطات مدهشة وانتقادات جريئة

موسى إبراهيم أبو رياش

جميل أن يحتفي موقع ثقافي إلكتروني بذكرى مرور سنة على إبحاره في الفضاء الأزرق، بإصدار مجموعة قصصية؛ إنها بادرة رائدة تستحق الشكر والثناء، واحتفاء إبداعي بهي مميز، يليق بموقع (عالم موازٍ) الثري المتنوع، وتستحقه القصة؛ قمة الإبداع السردي، وذروته السامقة، ولب لبابه.

تضمنت المجموعة باقة جميلة فواحة من اثنتا عشرة قصة لكوكبة مبدعة من ثلاث قاصات وثلاثة قاصين، وتميزت القصص بالتنوع من حيث الموضوع والأسلوب وطريقة السرد والمستوى والطول، وهي بهذا تعكس جانباً من فن القصة القصيرة العربية، خاصة وأنها لمبدعين ومبدعات من دول عربية مختلفة.

افتتحت المجموعة بقصة «قصة.. ها» للقاص المصري **أحمد القرملاوي**، قصة جميلة ورائعة، مشغولة بحرفية عالية، تترجم ما يعتمل في النفس من نوازع ورغبات وأوهام، حيث كاتب مسؤول عن ورشة كتابة، تثير اهتمامه قصة غفل من الاسم والعنوان ورقم الهاتف، على الرغم من أنها غير مكتملة الشروط،

ويفترض استبعاد صاحبها/صاحبتها، إلا أن مضمون القصة يعيد الكاتب إلى ذكرياته مع النساء قبل زواجه، مما أسال لعابه لمعرفة كاتبتها، مع أنه قد وصله لاحقًا أن الكاتب رجل، إلا أنه اعتبر ذلك تمويهًا، فيبحث في ذاكرته وملفاته القديمة، فلا يستبين شيئًا، ومن خلال المراسلة يتفقان على موعد، فيكتشف أنها زوجته، التي كان لها نشاط إبداعي بين الحين والآخر، إلا أنه لم يتوقعها، لقد كانت المراسلات بينهما لعبة قط وفأر، برهنت فيها الزوجة أنها قط بمخالب.

هذه القصة تحمل في طياتها نقدًا للوسط الثقافي، وخاصة للكُتاب الذين يلاحقون النساء ويستميلوهن، وتسيل لعابهم كتاباتهن الجريئة، ويظنون أنهن صيد سهل، ومشروع صديقة حميمة، متخذين من الأدب ستارًا لنزواتهم، ويصدق فيهم قول القائل «بعض كتاب الأدب قليلي أدب»، وهكذا مواقف تكشف حقيقة هؤلاء وتعريهم، ولكن بعضهم لا يرعوي، فبدلًا من أن يعود إلى رشده، ويُحسّن سلوكياته، يقوم بتغيير وتطوير أدواته!!

وعن نقد الوسط الثقافي، نقرأ أيضًا قصة «رسالة» للقاص السوري عبدالخالق كلاليب، وهي أقصر قصص المجموعة (485 كلمة)، هذه القصة الطريفة يصدق فيها المثل «شر البلية ما يُضحك!!»، حيث نقرأ رسالة من كاتب عربي مغمور لكاتب عالمي مشهور، يخبره فيها أن روايته الأخيرة «حفلة في المقبرة» ملطوشة من روايته «عرس في الجبّانة» التي كتبها منذ عشرين سنة ولم تنشر بعد، ويمكن أن تكون التشابه مجرد تناص أو توارد خواطر، ويؤكد له أنه لا ينوي التشهير به، ولكن يطلب منه مساعدته في نشر محدود لروايته، والتشهير به على

رؤوس الأشهاد على السرقة، بهدف كسر جدار الصمت حوله وحول الكتاب العرب، فيموت الكاتب العالمي من شدة الضحك!

تحمل هذه القصة نقدًا لاذعًا لبعض أدعياء الأدب والكتابة، الذين يبنون شهرتهم اعتمادًا على السرقات والتقليد والتمحك بالمشاهير، لأن أسرع وسيلة للشهرة هي قذف الكبار بالحجارة، ولكن الكاتب هنا يتجاوز المعتاد، فيحاول العكس، بأن يطلب من أحد الكبار قذفه والتشهير به، وفي هذا –إن حصل- شهرة فائقة، وذياع صيت، ولا يهم كيف؟ المهم اسم رنان طنان وكفى.

ولعبد القادر كلاليب قصة ثانية في المجموعة بعنوان «الكرة الزجاجية»، وهي قصة رمزية، تؤشر إلى واقع معاش، مغرق في الطمع والجري وراء الشهوات والفخر الكاذب؛ فعلى الرغم من تحذير الأهل بعدم اقتراب أطفالهم من دكان «الختيار» لما يدور حوله من أحاديث وأقاويل واختفاء أطفال، إلا أن الطفل إثباتًا لرجولته، وتأكيدًا لشجاعته، قبل تحدى أقرانه، ووافق للذهاب إلى دكان «الختيار» ليشتري لهم الحلوى، وهناك عرض عليه «الختيار» «الكرة الزجاجية» التي طالما حلم بامتلاكها، فأسرته وأدهشته، ولما رأى «الختيار» أنه نجح في خطته، استدرجه ليرى كرة أضخم و أكبر، فقاده إلى الداخل، حيث رأى كرة كبيرة مذهلة، ورأى فيها سميح أحد الأطفال المفقودين، يبدو كنملة صغيرة، ولكن بعد فوات الأوان، فقد غاب عن الوعي فجأة، وأصبح رفيقًا لسميح وغيره من الأطفال على مر السنين الذين تكاثروا وازدادوا عددًا.

لم تعد «الكرة الزجاجية» مجرد مجاز أو تخييل، بل هي حقيقة نعيشها في كل لحظة، فقد بتنا أسرى « كرة زجاجية» كبيرة بسبب من أطماعنا وجشعنا وحب الامتلاك والاستيلاء والافتراس، وكل إنسان تقوده شهواته ورغباته هو أسير مقيد في كرة كبرت أم صغرت، لا يستطيع الخروج منها إلا بالتخلي والتطهر والانعتاق من شهواته وغرائزه ورذائله، إن الطمع والجشع وأضرابهما يمسخ المرء ويجعله صغيرًا يعيش في دائرة ضيقة مهما اتسعت.

صحيح أن الكبار هم من يقودننا إلى «الكرة الزجاجية»، ويزينون لنا الطريق، وربما يدفعوننا دفعًا، لكن لا أحد يجبرك أن تسقط وتدخل إليها برجليك، لأن الطريق إلى هذه الكرة متدرج، وعلى جانبيه إشارات ولافتات وتحذيرات، ومن لم يتعظ بغيره، ولا يعير النصح أهتمامًا، فسيدخل الكرة طائعًا غير مكره، وإن توهم غير ذلك.

نعم، قد تكون الحياة قاسية، والمغريات كثيرة، لكن أين العقل وصوت الحكمة؟ أين تجارب الآخرين ونصائحهم؟ فلا يوجد خير في الظلام أو في الدهاليز المظلمة أو الغرف الجانبية المتوارية عن الأنظار. ولتكن الشمس وحدها هي المظلة للحياة والعيش الكريم والحياة بعزة وأنفة وكبرياء.

في قصص ثلاث، تؤكد القاصة السعودية بلقيس الملحم انحيازها للإنسانية وتعاطفها مع ضحايا الحروب العبثية والعدوانية، حيث الموت والتشريد والتهجير، مع ما يصاحب ذلك من جراح وآلام وحسرات وفقد، وتيه في بلاد الله الواسعة، ويسجل لبلقيس أنها لم تفرق بين دين ودين أو لون ولون، فالكل

ضحايا في الحروب، والحرب عمياء صماء، لا تفرق ولا تميز، والكل تحت وابل نيرانها سواء.

في قصتها الأولى «لماذا ذهبوا إذًا؟!»، تجمع في كندا كملاذ للمعذبين في الأرض بين جورج الهارب من الاحتراب الداخلي في سوريا، وسليمان الهارب من جحيم التطهير الديني للمسلمين الروهنيجا في بورما، جورج فقد أخته غرقًا في بحر إيجه في أثناء الإبحار للهجرة إلى دولة أوروبية، وسليمان فقد أسرته ذبحًا وحرقًا، في سلسلة من الاستئصال ابتدأت منذ جده السابع، وكلاهما يبكي وسؤال بحجم الوجع والفقد عن الراحلين ظلمًا وعدوانًا: «لماذا ذهبوا إذا؟!».

تحضر فلسطين في قصة «فسفوري» لبلقيس الملحم، وتحضر قضيتها الممتدة عبر عقود طويلة، ابتدأت القصة منذ الهجرة من يافا، وانتهت في غزة إبان قصف العدو الغاصب للمدنيين العزل بالقذائف والقنابل الفسفورية وما تخلفه من قتل وتشويه وتهتك لجسم المصاب، وفي القصة يتعرف الطبيب على جثة امرأة استشهدت بقنبلة فسفورية، امرأة التقاها صبية تائهة ذات ليلة في مخيم قبل خمس وأربعين سنة، ولم ينسها مذاك.

في قصة بلقيس الثالثة «أحاديث جانبية للموتى»، تحضر العراق، تحضر الحرب العراقية الإيرانية التي أكلت الأخضر واليابس، وخلفت مئات الألوف من الضحايا، تحضر من خلال فتاة مسيحية ميتة من البصرة، تروي جانبًا مما مرت به في أثناء حياتها، حيث اضطرت غيرها للإقامة في مجمع سكني كنسي بعد الدمار الذي حل ببيوتهم، وتذكر المقابر الجماعية في البصرة، فلا مجال لمقابر

فردية لكثرة عدد الموتى، وتفشي سر قصة حب بين صديقتها وأحد الشباب العراقيين في الهند، بدأت من خلال ركن التعارف في إحدى المجلات؛ هي ماتت غرقًا في بحر إيجة في أثناء محاولتها الهجرة، وهو انتحر في غربته، وتوصي الراهبة ساكو أن توصل رسائل صديقتها إلى والده في كربلاء. أما الشاب الذي أحبته هي «نزهت»، فقد كان موته على الجبهة العراقية الإيرانية الذي بثه خبر عسكري السبب في موتها عشقًا وحزنًا وقهرًا، ودفنه أبوه في قبر قريب منها، لم يجتمعا أحياءً، ولكن جمعت بينهما المقبرة.

إذًا، الحرب هي الشغل الشاغل لبلقيس الملحم في مشاركتها، الحرب القذرة، التي لا هدف لها إلا العبث والدمار والإفساد في الأرض، الحرب الخاسرة، فلا منتصر ولا فائز، بل جميع أطرافها يعانون ويتوجعون ويخسرون، إنها حرب الشيطان إذًا الذي يقف شامخًا ساخرًا هازئًا من سخافة البعض وضحالة عقولهم وانقيادهم الأعمى نحو حرب خاسرة منذ الطلقة الأولى.

الحرب، أي حرب ليست أيامًا أو سنين وتنتهي، بل هي أجيال وأجيال تتعذب وتعاني، وأوطان تنهك وتتآكل وتدفع الثمن؛ لأن آثار الحرب طويلة الأمد، تطال كل مجالات الحياة، تطال البشر والحيوان والشجر والأرض، تطال الروح والقلب والجسد، وما تخلفه من ويلات ودمار وخراب في أيام لن يُرمم في عقود، وتبقى غصة وجرحًا برسم الفتق في أي لحظة، الحرب حجر ألقاه مجنون في بئر سحيقة لن يستطيع ألف عاقل من استرجاعه!!

وغير بعيد عن قصص بلقيس الملحم، تأتي قصص القاصة السورية ريم بدر الدين بزال الثلاث، حيث الموت هو القاسم المشترك بينها، ولا غرابة؛ فقد أصبح الموت في ظل عاصفة كورونا حدثًا عاديًا مألوفًا، يتخطف الناس، بل يحصدهم أحيانًا، ولكن قصص ريم تميل إلى الرمزية، وتضمر أكثر مما تظهر.

في قصتها الأولى «نافذة جانبية مضاءة»، يراقب الشاب من النافذة فتاته النائمة صباحًا ومساءً، وعندما يتجرأ ويسأل عنها أخيرًا، يعلم أنها ماتت منذ سنوات وبقيت في سريرها ثمانية شهور حتى اكتشفت، صدمه الخبر وأصابه بالرعب، وتساءل: إذًا من التي كان يشاهدها من النافذة، وبجانبها فنجان قهوة لم يكتمل؟ وعندما أعاد مراقبتها بمنظاره، رآها ممددة على سريرها ككل يوم تغمز له لأول مرة. إنها الأشباح التي تملأ حياتنا، نظنها حقيقة، ونتوهم الأحلام ونتخيل ونتوقع، ولكن الخيبة هي ما نحصدها في نهاية المطاف، فنحن تتراءى لنا الأشباح في كافة المستويات والمجالات، كلها تعدنا بالحرية، الرفاهية، العدالة، الحب، ... ولا نجني إلا قبض ريح.

في قصة «زر مقطوع»، صور ومشاهد حية لأحد أقسام الطوارئ في الليل، حيث يزداد عدد المراجعين عادة، لكأن الألم يمنح الناس هدنة نهارية ليلتفتوا إلى شؤون حياتهم وينظرهم إلى ليل، وفي قسم الطوارئ تمتزج الحياة بالألم والموت، وكل يجري في مساره، فالممرضات والأطباء على الرغم مما يشاهدون ويراقبون ويعملون، إلا أنهم يأكلون ويشربون ويضحكون بل ويغازلون بعضهم

بعضًا، ولا يتوقفون إن مات أحد، فغيره ينتظر للعلاج والتدخل، ولا مجال لإضاعة الوقت في الحزن وتعزية الأهل.

الطبيب «بطل القصة»، على الرغم من ثلاثين عامًا من العمل في هذه الأجواء والظروف، إلا أنه لم يستطع تجاوز مشاعره وآلامه تجاه ما يشاهد، ويقول: « أكثر ما يؤلمني أننا في غمرة انهماكنا بإنقاذ حياة إنسان ما؛ لا نستطيع أن نرصد اللحظة الأخيرة لأننا ببساطة مشغولون بتأخيرها»، وتأتيه الفرصة ليرصد، عندما تدخل القسم عجوز تعاني من أزمة قلبية، ويلفت انتباهه على غير العادة أنها ترتدي معطفًا أحد أزراره مفقود، بحث عن الزر في جيوب معطفها كما كانت تفعل أمه، لكنه لم يجده، ثم انشغل بإسعافها حتى استقرت حالتها، ومكث غير بعيد منها يراقبها، ولما استفاقت، طلبت منه أن لا يسعفها ثانية إن عاودتها الحالة، لكأن ما تنتظره أقل وطأة مما ستتركه، ولما عاودتها الأزمة، طلب عدم إسعافها، ورصد لحظاتها الأخيرة إلى أن أسلمت الروح، ولما طلب إبلاغ ذويها أخبرته الممرضة أنها متسولة، ولم يجدوا معها إلا «محرمة مطرزة متسخة وبضعة نقود معدنية وزر خشبي بني».

إننا في هذه الظروف الوبائية، نعيش في غرفة طوارئ كبيرة، نأكل ونشرب ونتألم ونرتعب وننتظر إصابة أو موتًا، ولكن الحياة تجري، ينشغل معظمنا بالهوامش والتفاصيل الجانبية، ربما هروبًا من الواقع المكفهر، وإدارة الظهر لأزمة تشتد، لا أمل قريب بانفراجها، وكل حياتنا أزمات متتابعة، وما أقساها عندما تتزامن أزماتها وتنقض علينا بلا رحمة!!

في قصة «مفقود»، اختفى الزوج فجأة في زقاق لا أبواب فيه ولا ممرات، فهو زقاق لعائلات من طوائف متخاصمة، أدار كل منها ظهره للآخر، ولم تجد له زوجته أثرًا على الرغم من البحث الطويل والمكثف في كل مكان. في الغالب «مفقود» أسوأ من «ميت» وأكثر إيلامًا وبثًا للحزن والخوف، فالميت مصيره معروف، ومكانه معلوم، حزن أيام ثم تعود الأمور إلى مجاريها، ولكن «المفقود» توقع موت في كل لحظة. لم يكن الزوج «مخطوفًا»، وإلا اتصل بها خاطفوه، ولكنه «مفقود» فلا حس ولا خبر، وتزداد الفجيعة ورش الملح على الجرح عندما تظهر النفوس المريضة؛ تستثمر آلام الأسرة وتمسكها بقشة الأمل، فتطلب أموالًا للتدخل أو للحصول على أخبار أكثر، دون أن يسفر ذلك عن شيء ملموس، وحتى اللجوء إلى العرافة لم يكن ذا نفع، اللهم إلا حبل أمل يتمزق.

وعندما طال الوقت، لم تعد الحيلة تنطلي على الطفلة، فأعلنت انتهاء اللعبة، وأن أباها لن يعود، فهو ميت لا محالة، فتضطر الزوجة أن ترفع راية الاستسلام، وتحرق كل متعلقاته، فلا معنى للانتظار والتشبث بالأوهام.

براءة الطفلة كانت نورًا يبصرها بالحقيقة، وأن لا داعي للخداع أكثر، والتمسك بالسراب، ولذا فنحن بحاجة إلى براءة ما، نقاء ما، طهر ما، لنخلع أثواب الوهم والزيف والخرافة، ولندرك يقينًا أن «غودو» لن يأتي، صحيح أن الأمل موجود، وأن الظلام لا بد سينقشع يومًا ما، لكن لن يكون ذلك على يد صناع الظلام وباعة الأوهام.

تشارك القاصة السورية لُبنى ياسين بقصتين في هذه المجموعة، تتميزان بالرمزية، وتوجيه سهام النقد للسلطة بكافة تمظهراتها وأشكالها وألوانها. فقصة «وابل من الخيطان» رمزية بامتياز، حيث بطلة القصة تشعر بورم في رأسها، ثم انتشرت الأورام في أطرافها، تسبب لها الحكة، أورام لا يراها أحد، وحتى الطبيب نفى ذلك، وأوصاها بطبيب نفسي، لم تنفع علاجاته ومسكناته، ولم تتخلص منها إلا أن استأصلت أورامها بنفسها، فانطلقت خفيفة نشطة، ولهولها «وما أن فتحت الباب، حتى رأيت الشارع بشكل لم أعهده من قبل، فقد كان البشر على مرمى نظري مربوطين بخيوط معلقة برؤوسهم، وأطرافهم لتحركهم، ولم أستطع- رغم محاولاتي- تمييز تلك الأورام الصغيرة التي تسببها عقد الخيوط تحت الجلد، رأيت كمًا مرعبًا منها يتدلى من الأعلى، وعندما رفعت رأسي لم أستطع رؤية ذلك الذي يمسك بها كلها، لكنني كنت أتحرك بحرية تحت وابل من الخيطان يغطي السماء تقريبًا. وحدي كنت أتحرك دون خيوط».

إنها قيود العادات والتقاليد والسلطة والأوهام والخوف على الأولاد والرزق والمكانة و.. التي تكبل حياة كل منا، ولكننا لطول الألفة، أو بحكم العادة والتعايش لا نرى هذه القيود، ولا نشعر بوجودها، فقد أصبحت جزءًا أساسيًا في حياتنا لا نتصور حياتنا دونها، ولكن الضمائر الحية، والأرواح المتمردة، والعقول المتوهجة، تشعر بهذه القيود وثقلها وحركتها الضاغطة على الروح والجسد والعقل والحركة والانطلاق، فلا تستطيع التعايش معها إلا مكرهة تحاول التخلص منها بأي وسيلة كانت، مع أن التخلص منها، يضع المرء في مواجهة الآخرين، ولكن الحرية تستحق كل تضحية، نعم، قد نؤدي أنفسنا، نتعثر،

نسقط، ونُعاقب، ولكن النتيجة مدهشة؛ طيران بلا عوائق، وسماوات بلا سقوف.

لا تختلف قصة «قبيلة من أصوات صدئة» عن سابقتها من حيث الجوهر، فثمة سلطة أو سلطات تتحكم بمصائر الناس، وتملي عليهم ما يفعلون، أو تدفعهم دفعًا، ولا تدع لهم خيارًا؛ فالسلطة تضعك في مأزق ومحنة وكارثة، لا ينجيك منها إلا تنفيذ أوامر هذه السلطة أو نصائحها الوقحة، ولكنها نجاة مؤقتة، وهمية، مخاتلة، ما تلبث أن تجر وراءها مصائب ومحنًا أخرى أشد خطرًا وفتكًا، ليبقى المرء أسير محن تقود حياته نحو الهاوية، وعندما يفكر المرء أو يحاول أن يستأصل أصل البلاء وسبب المصائب، يصبح هدفًا مشروعًا لقوى الظلام، التي تمنع أن يتمرد أحد أو يرفع صوته أو حتى يشعل شمعة ما في محيط ظلامهم الممتد.

وعندما تكون فردًا أعزل وحيدًا، فماذا تستطيع أن تفعل في مواجهة «قبيلة من أصوات صدئة»؟ ولكن الصوت لن يذهب سدى مهما كان خافتًا، ولا بد أن يجذب آخرين، فتتراكم الأصوات، ويشتد موجها وزئيرها، وتتحول إلى فعل تغييري مبشر بغد أجمل، وإن اكتسى الطريق بالدماء والآلام والضحايا، فطريق الخلاص ليس مفروشًا بالزهور.

في القصة الأخيرة «رحلتي من ديترويت إلى ديروط: حكايات كاديلاك»، وهي الأطول في المجموعة (7670 كلمة)، يقدم القاص المصري أشرف العشماوي قصة مختلفة متميزة، فهو لا يؤنسن السيارة فحسب، وينقل لنا

مشاعرها ومعاناتها، بل يدعها تكتب سيرتها الذاتية على مدار خمسين عامًا، منذ ولادتها في مدينة ديترويت «مدينة السيارات» في ولاية ميشيغان الأمريكية، إلى وفاتها في ديروط إحدى مدن الصعيد في مصر، وتحولها إلى «أريكة خلفية ولا شيء آخر، أريكة سيارة قديمة تقبع أمام دار الشيخ عبد التواب عبد الصمد عبد ربه مأذون الناحية، يجلس عليها كل صباح، وفي الليل تنام كلبته السوداء فوقي، ولا أعرف إلى الآن أين ذهبت بقيتي».

رحلة السيارة كانت طويلة ومثيرة ومضطربة، فقد بدأت من المصنع إلى المعرض إلى البيت الأبيض ومرافقة الرئيس كنيدي في رحلته الأخيرة التي قتل فيها، ومن ثم الخليج العربي حيث اشتراها أحد الأمراء، وانتقالها هدية إلى الرئيس جمال عبدالناصر فمرت بالإسكندرية ومن ثم القاهرة، وبعد وفاة عبدالناصر اشتراها تاجر ثري، أساء ولده استخدامها، فجعلها مرتعًا لشهواته ونزواته، ودهس فيها طفلاً لم يلتفت إليه، ومن ثم اشتراها سفير في الخارجية، قامت ابنته بتأجيرها إلى منتجي الأفلام السينمائية والأغاني، وبعد ذلك اشتراها رجل ثري استخدمها في رحلاته الطويلة إلى قريته وتحميلها بالخراف والدجاج، ومن ثم تحولت إلى سيارة نقل عام، إلى أن سقطت في الترعة وتقطعت أوصالها، فاستصلح منها الشيخ عبدالتواب مقاعدها الخلفية للجلوس عليها في حوش الدار نهارًا، ومنامًا للكلبة السوداء ليلاً.

هذا المصير المخزي للسيارة، كان جارحًا قاتلاً لها، فهي ابنة العز والفخامة التي كانت سيارة الرئيس كنيدي وأمراء الخليج والرئيس ناصر، تتحول في النهاية

إلى سرير لكلبة سوداء، ونحن كقراء لا نكتم تعاطفنا مع السيارة، التي كانت تستحق نهاية أفضل تحتفظ فيها بكرامتها، ولكن مصيرها ليس بأحسن من مصير معظم المواطنين العرب، وربما أفضل.

وعلى كل حال، لا يعنينا كثيرًا سيارة الكاديلاك ومشاعرها، رغم تعاطفنا الشديد، ولكن ما يهمنا هذا النقد المبطن والصريح أحيانًا في القصة لمجمل الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والسلوكية وغيرها، وخاصة في مصر والخليج؛ فقد استعار أشرف العشماوي لسان السيارة للإشارة إلى كثير من أوجه الخلل والفساد والخطأ في كل مجالات الحياة، ومن ذلك: قيادة السيارة بجهل وتهور ممن لا يعرفون خصائصها، ولا يستطيعون توظيفها بشكل صحيح، وهذه كارثة العرب فهم يستوردون أفضل الآلات والأجهزة والمعدات ولكنهم يجهلون استعمالها بشكل صحيح، وكم من معدات تلفت وهي لم تستخدم، أو تعطلت مبكرًا بسبب سوء الاستخدام. وكذلك استخدام السيارة في نقل المخدرات واللقاءات المحرمة ونقل الخراف والدجاج ونقل الركاب مع أنها لم تصنع لهذه الأمور. كما انتقدت القصة على لسان السيارة مظاهر الإسراف والاستهلاك والتفاخر الكاذب والطيش وغيرها.

هل «سيارة الكاديلاك» هي الوطن الذي ينتقل من مالك إلى مالك، وكل لا يحسن قياده ولا إدارته، فينتهي به المطاف منهكًا مفككًا لا يصلح لشيء؟

أم أن «سيارة الكاديلاك» وطن مستعار لا مستقبل له، نهايته قريبة بائسة حزينة؟

أم أن «سيارة الكاديلاك» هي الحضارة المستوردة التي لا نحسن توظيفها ولا استخدامها، فتصبح عبئًا وضررًا وخسرانًا مبينًا؟؟

أم أن «سيارة الكاديلاك» مجرد اختبار لجهلنا وفشلنا وسوء تصرفنا وسلوكنا؟

أم أن «سيارة الكاديلاك» رمز للتفاخر الكاذب، والمكانة الجوفاء، والقيمة المادية؟؟

أم أن «سيارة الكاديلاك» كل ذلك؟؟ أم لا شيء من ذلك؛ فهي مجرد سيارة كغيرها من السيارات انتهى أجلها، ولاقت مصيرها، وربما حاباها القدر فجعلها سريرًا لكلبة أهلية، وليس عشًا للخنافس والصراصير، وملاذًا للفئران والجرذان وهوام الأرض؟؟

وبعد؛؛؛ فإن قصص المجموعة متنوعة تنوعًا لافتًا، مختلفة عن بعضها بعضًا، تملك في معظمها مقومات القصة الجميلة المثيرة، ولكل قصة منها رسالة لا تخفى على اللبيب، وتضع القارئ أمام عاصفة من الأسئلة، وتدفعه للتفكير الجاد، والالتفات حوله مرارًا وتكرارًا، وإعادة النظر فيما يراه حقائق ومسلمات. كما يسجل لهذه القصص هذه الالتقاطات المدهشة، والتفاصيل الرائعة، والدخول في مناطق خطرة أو صعبة على الأقل، وهذا ديدن الإبداع، أن لا تمنعه العراقيل أن يبحر ويجوب ويرتقي ويمزق القيود ويكشف الأقنعة ويرتاد الدروب غير الممهدة.



نبذات عن الكُتّاب والكاتِبات المشاركين

حسب ترتيب عرض القصص

أحمد عامر القرملاوي

- **مواليد القاهرة - مصر - 1978**
- **روائي وقاص وناقد**
- **يعمل مُهندسًا معماريًا، ويحمل درجة الماجستير في إدارة الأعمال والعمارة الداخلية**
- **نشر العديد من الدراسات النقدية والمقالات عن أدب نجيب محفوظ، وعن الواقع الثقافي المصري والعربي، وعن العلاقة بين الكاتب والقارئ في ظل الواقع المعاصر.**
- **يكتب في صحف الوفد والشروق والعرب اللندنية**
- **يكتب في عدد من المواقع الإلكترونية المختصة بالأدب**

صدر له:

- **"أول عبّاس" – مجموعة قصصية – دار الرواق – مصر – 2013**
- **"التدوينة الأخيرة" – رواية – الدار المصرية اللبنانية – مصر – 2014**
- **"دستينو" – رواية – الدار المصرية اللبنانية – مصر – 2015**
- **"أمطار صيفية" – رواية – الدار المصرية اللبنانية – مصر – 2016 (جائزة الشيخ زايد – فرع المؤلف الشاب - عام 2018)**

- **"نداء أخير للركاب" – رواية – الدار المصرية اللبنانية – مصر – 2018 (جائزة أفضل رواية من وزارة الثقافة المصرية في اليوبيل الذهبي لمعرض القاهرة الدولي للكتاب عام 2019)**
- **"ورثة آل الشيخ" – رواية – الدار المصرية اللبنانية – مصر – 2020**

بلقيس محمد عبد الله الملحم

- **مواليد الأحساء - السعودية 1977**
- **معلمة للمرحلة الثانوية**
- **عضو في النادي الأدبي في المنطقة الشرقية**
- **عضو فخري في مؤسسة ناجي نعمان الدولية في بيروت وسفيرة الثقافة بالمجان في الخليج العرب**
- **حصلت على درع المرأة القاصة من مؤسسة المثقف العربي في أستراليا بمناسبة يوم المرأة العالمي 2012**
- **حصلت على شهادة تقديرية من البيت الثقافي العربي في الهند 2014**

صدرلها:

- **"أرملة زرياب.. قصص من العراق" - مجموعة قصصية - الدار العربية للعلوم والفنون-بيروت- 2008**
- **"حريق الممالك المُشتهاة" - راوية " - دار ورد – عَمَّان - 2012 (نالت وسام عن أجمل رواية من جائزة العنقاء الذهبية الدولية في دورتها لعام 2012)**
- **"ما قال الماء للقصب" - مجموعة شعرية - دار التكوين – سوريا- 2012**
- **" مناديل القديسة " - شعر – الدار العربية للعلوم- بيروت-2015**

- " قبل أن ينقرض الحب" - ثلاثية شعرية " الدار العربية للعلوم- بيروت- **2015**
- "بيجمان الذي رأى نصف وجهها" - رواية – الدار العربية للعلوم- بيروت- **2015**. (وهي أول رواية عربية عن البوسنة. قدم لها رئيس وزراء البوسنة السابق د. حارث سيلاديتش والسفير البوسني في الكويت)
- "رغيف وتمر ونواح عراقي" - قصص قصيرة جدًا - دار الشؤون الثقافية - بغداد - **2016**
- "هل تشتري ثيابي؟" - قصص قصيرة - دار المتنبي – السعودية – **2018**. (رُشحت للقائمة القصيرة لجائزة الملتقى للقصة القصيرة في دورتها الثالثة لعام **2018**)
- "أحبكَ حتى تنتهي الحرب" - ديوان شعري -من إصدارات نادي حائل الأدبي للعام **2020**.

ريم بدر الدين بزال

- **مواليد دمشق - سوريا 1972**
- **كاتبة وصحفية**
- **مُترجمة مُحترفة مُجازة من قِبَل المجمع العربي للمترجمين المحترفين**

صدر لها:

- **"وطن في حقيبة" – رواية – دار آكد – المملكة المتحدة - 2012**
- **"ذاكرة ميت" – رواية – طبعة 1 دار ليندا عبد الباقي /طبعة 2 دار سوريانا - 2015**
- **"في رحاب الرواية" الجزء الأول – كتاب مُشترك قراءات انطباعية في أدب الرواية – سوريانا 2018**
- **"في رحاب الرواية" الجزء الثاني – كتاب مُشترك قراءات انطباعية في أدب الرواية – سوريانا 2019**

لُبنى محمود ياسين

- **مواليد دمشق - سوريا**
- **كاتبة صحفية وعضو اتحاد الكُتّاب العرب.**
- **عضو فخري في جمعية الكاتبات المصريات.**
- **تُرجمت بعض نصوصها وقصصها إلى الفرنسية والإنكليزية، الألمانية، الهولندية، الإسبانية، الإيطالية، البنغالية، الأوردية، الكردية، البلغارية، والروسية.**
- **فنانة تشكيلية، أقامت أربعة معارض شخصية في هولندا، كما شاركت بالعديد من المعارض العالمية.**

صدر لها:

- **"أنثى في قفص" - مجموعة قصصية - وهج الحياة للإعلام -السعودية** 2007
- **"طقوس متوحشة" - مجموعة قصصية - دار وجوه للنشر والإعلام – السعودية 2008**
- "سيرًا على أقدام نازفة" - **مجموعة** قصصية - دار حوار- سوريا 2011.
- **" ثقب في صدري" - مجموعة قصصية - دار ينابيع – سوريا 2011.**
- **"شارب زوجتي" – مقالات ساخرة - دار وجوه – السعودية 2011**
- " رجل المرايا المهشمة" – رواية - دار الغاوون – لبنان 2012.

- "تراتيل الناي والشغف" - **مجموعة نصوص شعرية** -دار المأمون –العراق **2013**.
- " سبعة أزرار وعروتان" - **مجموعة قصصية** - دار المأمون – العراق **2014**.
- "السماء تخون أيضاً" - **مجموعة قصصية** - دار السواقي -الأردن **2020**.
- "نساء الأصفر" - **مجموعة نصوص شعرية** - دار السواقي – الأردن **2020**.

عبد الخالق كلاليب

- **مواليد حمص - سوريا –1962**
- **كاتب وروائي**
- **حائز على شهادة الطب البشري من كلية الطب في جامعة دمشق**

صدر له:

- **"طواحين النار" – رواية – دار الإرشاد للنشر – سوريا 2010**
- **"المدينة المفقودة" – رواية – دار الهدهد للنشر – الإمارات العربية المتحدة - 2016**
- **"صدى الأرواح" – رواية – دار التنوير – لبنان 2018**

أشرف عبد الوهاب العشماوي

- **مواليد الجيزة - مصر –1966**
- **قاضٍ وروائي**
- **عمل 17 عامًا مُحقّقًا جنائيًا بمكتب النائب العام**
- **يعمل حاليًا مُستشارًا بمحكمة استئناف القاهرة**
- **يكتب في العديد من الصحف والمجلات اليومية والمواقع الإلكترونية مثل "اليوم السابع" و "المصري اليوم" و "الشرق الأوسط"**

صدرله:

- **"زمن الضباع"- رواية - مكتبة الدار العربية للكتاب -مصر – 2010**
- **"سرقات مشروعة" – كتاب عن تهريب الآثار المصرية – الدار المصرية اللبنانية – مصر - 2011**
- **"تويا" – رواية - الدار المصرية اللبنانية – مصر–2012 (وصلت إلى الجائزة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربي- بوكر؛ عام 2012)**
- **"المرشد" – رواية - الدار المصرية اللبنانية – مصر - 2013**
- **"البارمان" – رواية - الدار المصرية اللبنانية – مصر – 2014 (جائزة أفضل رواية بمعرض القاهرة الدولي للكتاب من الهيئة العامة للكتاب عام 2014)**

- "تذكرة وحيدة للقاهرة" – رواية - الدار المصرية اللبنانية – مصر - **2016**
- "كلاب الراعي"- رواية - الدار المصرية اللبنانية – مصر – **2016** (جائزة أفضل رواية تاريخية من ملتقى مملكة البحرين الثقافي لعام **2019**)
- "سيدة الزمالك" - رواية - الدار المصرية اللبنانية -مصر - **2018**
- "بيت القبطية" – رواية - الدار المصرية اللبنانية-مصر- **2019**

شُکروتقدیر

شُكر وتقدير

يبدأ كل شيء بحركة صغيرة.

تبدأ حياتنا بنبضة قلب، ويبدأ الحب بخفقة فؤاد، وتبدأ الصداقة بابتسامة، ويبدأ الحديث بكلمة، وتبدأ الرسمة بضربة فرشاة. حركة ضئيلة قد تكون تافهة وسط اتساع العالم، إلا أنها تحوي داخلها كل معاني الحياة.

كذلك بدأ هذا الكتاب بفكرة صغيرة راودتني حين صباح. تماديت في تأمّل الفكرة بعد أن أغواني خيالي الذي صوّر لي نجاحها. فتنني بريقها؛ فرُحتُ أتوهّم خططًا لإنجازها. وعندها أدركت مدى صعوبة تحقيقها. أفقتُ من سكرة الحلم أتنهّد في أسفٍ على ضياع أُمنية جديدة مُستحيلة. حاولت كثيرًا طرد الفكرة من عقلي؛ ظنًا بعجزي عن تحقيقها، غير أنني فوجِئتُ بأنها قد استحوَذَتْ عليّ بشكل كامل، وبأنها قد أصبحتْ هاجسًا يلازمني في كل أوقات يومي. حينها أدركت أنني صرت مهووسًا بالفكرة، وأيقنت أن خلاصي الوحيد هو تنفيذها!

قد يوحي صدور هذا الكتاب؛ بنجاحي الشخصي في تحقيق حلم بإصدار عمل أدبي راقٍ لكُتّاب وكاتبِات من مختلف الدول العربية، إلا أنني أعترف بأن

هذا النجاح ليس لي، وبأن هذا الكتاب لم يكن ليُصدَر لولا كل المساعدات التي تلقّيتها من الجميع. الحقيقة أنني فوجئت بمدى سخاء الكُتّاب الذين وافقوا وبدون أي تردد على دعم "عالم موازٍ" بالمشاركة بقصصهم، ولم يتأخروا ولو لمرة واحدة عن أي استفسار أو مساعدة أو تقديم إفادة تخص أعمالهم أو تخص الكتاب بشكل عام، بل وقابلوا إزعاجي المستمر بكل صبر وحفاوة وودّ.

أما عن الجنود المجهولة والذين ساعدوني بكل كرم ونُبل، فهُم كُثر. ابتداءً من الأستاذ عبد الله البصيص والذي تفضّل بكتابة مُقدّمة هذا الكتاب، والذي ساعدني كثيرًا رغم انشغاله الشديد. ومرورًا بالأستاذ موسى أبو رياش والذي تفضّل بكتابة القراءة النقدية للقصص المنشورة في الكتاب، وكان كريمًا معي في الرد على جميع استفساراتي، وأيضًا الفنان محمد آدم الذي صمّم غُلاف الكتاب، والذي تحمّل بكل كياسة تعديلاتي الهائلة من أجل الوصول إلى غلاف نهائي. ولا أنسى أصدقائي الذين كانوا خير معين لي في رحلة إصدار هذا الكتاب، والذين أناروا لي دربي بملاحظاتهم وتعليقاتهم وآرائهم الثمينة؛ والتي مهّدت الطريق لخروج هذا الكتاب بأفضل مما كنت أتمناه.

كانت رحلة إصدار هذا الكتاب شاقّة ومُرهقة وعصيبة. كانت فيها أيام إحباطي أكثر من أيام حماسي. رافقني التوتر أكثر أوقاتي، ولازمني الأرق أغلب ليلاتي، وفقدتُ معهما لذة الهدوء. أخذني هذا الكتاب من بيتي وبناتي وزوجتي، وسهرت أيامًا طويلة لا أنام فيها من أجل الاستمرار. وأعترف بأنني أُصِبتُ بنوبات إحباط شديدة، وبأنني كدت أفقد الأمل. وما كنت مستمرًا إلا بسبب

دعم المشاركين الذين وثقوا بي، وآمنوا بحلمي، وساندوني بكل ما لديهم من طاقة.

أود الإشادة بمدى الالتزام الذي أبداه جميع من شاركوا في هذا الكتاب، وذلك على الرغم من أن الكتاب مجاني بالكامل. وأقرّ بأنني تعلّمت منهم الكثير، وبأنني أشعر بالامتنان الخالص لهم جميعًا.

كما لا أنسى أن أتقدّم بالشكر لكل من رغب بالمشاركة لكنه لم يستطع بسبب ضيق وقته، أو لأي أسباب أخرى. أشكرهم على حُسن اعتذارهم، وعلى ودعمهم غير المباشر للمشروع وتوجيهاتهم المُفيدة، آملاً أن ينضموا في الأعمال القادمة بإذن الله تعالى.

أخيرًا؛ أشكر زوجتي الرائعة التي تفهّمتْ واحتملتْ فترات الضغط والقلق التي مررت بها، ووفّرت لي كل الوقت والدعم من أجل التركيز في هذا المشروع، وكانت دومًا النور الذي يُبدّد كل ظلمة داخلي.

أحمد فؤاد


عالم موازٍ
منصة ثقافية لإثراء المحتوى العربي
www.3alammowazy.com